جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

رقم تسلسل المذكرة:

إعداد الطالبتان:

برقم حنان

بزيو حفصة

يوم:

صورة مدينة بلنسية في ديوان ابن الأبّار القضاعي

لجنة المناقشة:

معرف رضا	أستاذ محاضر (أ)	بسكرة	مشرفا
إلياس مستاري	أستاذ	بسكرة	رئيسا
تومي لخضر	أستاذ مساعد (أ)	بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021– 2022م.

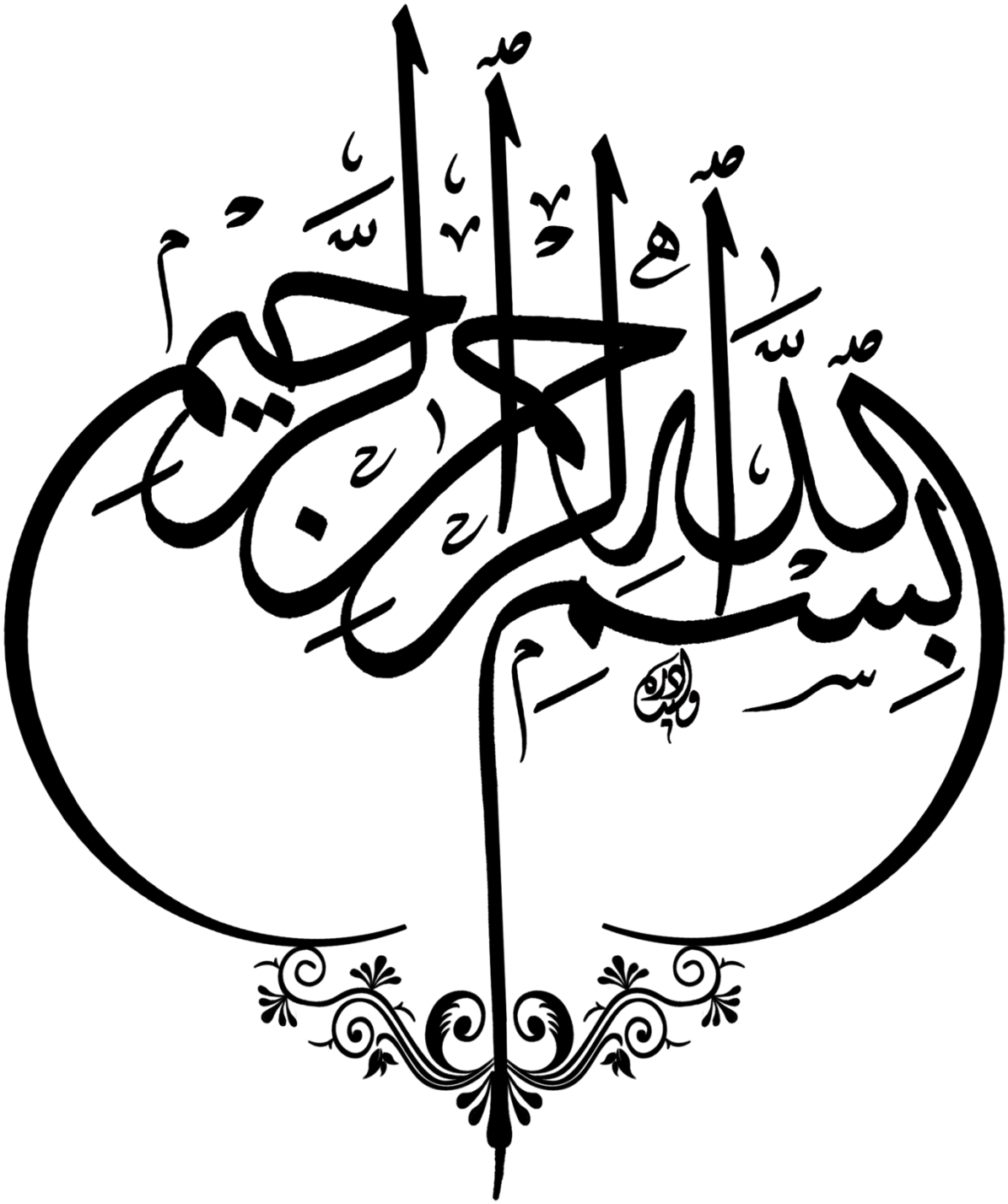
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إليكم أستاذي

الدكتور: معرف رضا

بكلية الآداب واللغات- محمد خيضر- بسكرة،

على إشرافكم ومجهوداتكم المبذولة ومعلوماتكم القيمة التي لم تبخلونا بها

طوال العام

وعلى متابعتكم المستمرة وهذا تعبير بسيط منا على احترامنا

وتقديرنا

متمنين لكم دوام الصحة ومزيدا من النجاحات،

سائلين الله عز وجل أن يكتب عملكم

في ميزان حسناتكم

الطالبتان: برقم حنان/ بزيو حفصة

.

مقدمة:

إن مدينة بلنسية من المدن الرومانية الإنشاء، حيث تموقعت في شرق الأندلس، وتميزت بطبيعتها الخلابة وقد شهدت هذه الأخيرة ازدهار حضاريا، وهذا راجع لقيام أهم وأعظم دولتين في تلك الفترة وهما الدولة المرابطية والموحدية الكبرى، أيّا كان الأمر فقد تمتعت بلنسية منذ أن ثبّت المسلمون فيها سلطانهم بنوع من الهدوء وأصبحت مدينة كبيرة قائمة بذاتها، وبهذا جاء بحثنا موسوما تحت عنوان "صورة مدينة بلنسية في ديوان ابن الأبّار".

هذا الموضوع الذي تحركنا لأجله محاولين استبيان الحياة السياسية والحضارية للمدينة، وذلك في الفترة الممتدة من الفتح الاسلامي حتى نهاية سقوطها، ووقع تركيزنا أكثر الأمر على العصر الموحدي باعتباره عصر ابن الأبّار والذي هو محور الدراسة كما يعد هذا العصر أحفل العصور بالصراع الدّامي بين المسلمين والأصليين الذي أدّى إلى سقوط بلنسية ومعها العديد من المدن الأندلسية في يد الروم، ومن جانب آخر وفضلا عن أنّ هذا العصر يعد من أفضل العصور في مجال الشعر الذي تناول صورة بلنسية المحتلة.

فقد برز فيه العديد من الشعراء الأندلسيين المرموقين من أمثال ابن الأبّار الذي شهد بنفسه سقوط دولته وتأثر بها، فخلّف شعرا غزيرا صوّر فيه ما أصاب مدينته وما حلّ بها من مآسي، فقد نظم شعرا رصد فيه الأحداث والمصائب المتوالية ممّا خلده في التاريخ وكان سببا في شهرته لذا جاء شعره أكثر ندبا وأعلى استصراخا وأعمق أثرا في استنهاض الهمم.

ويعود سبب اختيارنا لمدينة بلنسية بالذات موضوعا للدّراسة، هو ذلك الدّور البارز الذي لعبته في حوادث إسبانيا الإسلامية بوجه عام وشرق الأندلس بوجه خاص في العصر الموحدي، لكونها محور الصراعات، وما لها من دور هام إبّان الصراع القائم بين الاسلام

والنصرانية في الأندلس، كما قد شاركت بفعالية في البناء الحضاري بالأخص في العصر الموحدي فهو يعد ذروة ازدهارها الحضاري وخاصة الثقافي.

ويهدف هذا البحث إلى إجلاء معالم الصورة التي رسمها ابن الأبّار في عصر الموحدين لمدينة بلنسية الإسلامية المحتلة، حيث عرض النكبات التي حافت المدينة وما مارسه الطغاة فيها باستهدافهم معالم الدين الإسلامي، فاستصرخوا إخوانهم المسلمين لإنقاذهم من هذا العدو الجائر.

ومنه يتبادر في أذهاننا الإشكال التالي الّذي نزيل به عتمات هذا البحث، وهو كيف صوّر ابن الأبّار مدينة بلنسية في شعره من جميع النواحي؟ .

وللإجابة عن هذا التساؤل، بنيت هذه الدراسة على خطّة بحث مقسّمة لفصلين سبقتهما مقدمة كانت واجهة مطلة على حيثيات البحث وما ورد فيه، خصّصنا الفصل الأول المعنون بـــ: "بلنسية مدينة للعلم والحضارة"، قمنا فيه بدراسة التاريخ السياسي ومهّدنا بمقدمة جغرافية ثم تطرقنا لأهم العوامل المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية في بلنسية عبر العصور وأهم المؤسسات التعليمية وطرق التعليم المعتمدة فيها، وفي الأخير حوصلنا ذلك بإعطاء نظرة شاملة عن الحياة الاجتماعية وأهم المراكز العمرانية في بلنسية.

أمّا الفصل الثاني فقد كان معنونا بـــ: "صورة مدينة بلنسية في شعر ابن الأبّار القضاعي"، والذي تناولنا فيه معالم صورة المدينة المحتلة في شعر ابن الأبّار من جانبين هما الجانب الداخلي (المعنوي) والمتضمن صورة الإنسان البلنسي من حيث الاستنجاد والشوق والحنين والرثاء، وأمّا بالنسبة للجانب الخارجي (المادي) ارتأينا أن ندرس صورة المعالم الإسلامية؛ أي بلنسية كعالم إسلامي من حيث الوصف، بتصوير مشاهد المدينة قبل وبعد الاحتلال، ثم ذيّلنا هذا البحث بملحق جاء فيه حياة ابن الأبّار وآثاره وتعليمه وخاتمة ضمّناها أهم النتائج التي توصلنا إليها، ولتحقيق هذه الخطة احتكمت منهجية هذه الدراسة إلى تحليل

شعر ابن الأبّار الذي عالج صورة المدينة –فترة الدراسة– وبيان موضوعاته وأساليبه الفنية، ومن ثم الوقوف عند النصوص ودراستها وفق منهج يقوم على استخلاصها من مظانها الأصلية، ومعالجتها معالجة تحليلية بكشف خصائصها الأسلوبية وسماتها الفنية، أمّا بالنسبة للمصادر والمراجع حاولنا قدر الإمكان أن ننوع من مشاربها نذكر منها: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي لكمال ابو مصطفى الذي تكلم عن هذه المدينة رغم عدم تطرقه للعصر الموحدي فيها، ومن أهم المصادر التي اعتمدناها موسوعة الديار الأندلسية لمحمد عبده حتاملة.

وممّا لا شك فيه أنّ دراسة تاريخ وحضارة مدينة في أي فترة ليست بالأمر الهيّن، فالباحث هنا يكون لزاما عليه البحث والتنقيب في المصادر وبطون الكتب ليظفر بمجرّد إشارة تتعلق بالمدينة من قريب أو بعيد لاسيما مدينة بلنسية والتي كانت المصادر العربية قليلة جدا فيها، حيث لم يتطرقوا لها ونراهم قد اهتموا بمدينتي اشبيلية وقرطبة باعتبارهما قاعدتي الأندلس، وكان من أبرز العوائق قلة المال حيث أنّ أغلب الكتب التي تخدم هذا البحث لا يمكن توفيرها إلاّ بشرائها بمبالغ باهظة مع أنّ المصادر التي أُلّفت فيه كلها إسبانية؛ أي أنّ اللغة كانت من بين أبرز العوائق في هذا البحث بالإضافة إلى صعوبة فهم مقاصد القصائد فقد جاءت بلغة تعتبر صعبة في عصرنا الحالي.

ورغم تشابه هذا البحث بالمادّة التاريخية والاجتماعية استطعنا بحول الله الإلمام بكل ما يتعلق بالمدينة سواء من الناحية الجغرافية والسياسية و وحتى الثقافية والاجتماعية مع نظرة شاملة عن العمران.

ولا يسعنا بهذه المناسبة إلاّ أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذنا الجليل الدكتور "رضا معرّف"، لما أولانا به من رعاية وتوجيه طوال مدّة انشغالنا بجمع المادّة العلمية.

الفصل الأول:

بلنسية مدينة العلم والحضارة

تمهيد:

شهدت بلنسية خلال الفترة الإسلامية، أي منذ الفتح الإسلامي لغاية سقوطها على يد النصارى، فترة ازدهار فهي تعدّ من أخصب الفترات وذلك راجع لسطوع أهم دولتين في التاريخ الإسلامي وهما الدولة المرابطية والموحدية ففي ظلهما برزت بلنسية كدولة مستقلة لها حضارتها وتاريخها.

كما كانت للحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية الدّور البارز في إزدهارها وتطورها بما فيه من علماء وأدباء أضافوا العديد من الآراء للفكر الإسلامي؛ حيث تطرقنا في هذا الموضوع إلى ثلاث مباحث:

- المبحث الأول: مدينة بلنسية عبر التاريخ.
- المبحث الثاني: العلم والثقافة في بلنسية عبر العصور.
- المبحث الثالث: المظاهر الحضارية في بلنسية.

المبحث الأوّل: مدينة بلنسية عبر التاريخ.

لعبت بلنسية الدور البارز في حوادث الأندلس فقد كانت محور الصراعات التي دارت خلال الفترة الإسلامية خاصة، في عصر ملوك الطوائف وعصر الموحدين لما كان لها من دور هام إبان الصراع القائم بين الإسلام والنصارى.

المطلب الأوّل: الموقع الجغرافي لمدينة بلنسية.

بلنسية هي مدينة أندلسية يلفظ اسمها "بفتح الباء واللام وسكون النون وكسر السين المهملة، وفتح المثناة من تحت وفي آخرها هاء"[1].

حيث تعتبر مدينة "سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس، في مستو من الأرض"[2]، فنجدها تتموقع "قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط، على بعد أربعة كيلو مترات منه، ويتحدها طليطلة من الغرب وطرطوشة من الشمال"[3]، أمّا "ما يجاورها جنوبا مرسية"[4]، كما تقع "شرقي قرطبة وشرقي تدمير"[5].

---

[1]. عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عم المعروف بأبي الفدا، تقويم البلدان، تصحيح: زينود والبارون ماك كوكين، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ص178.

[2]. عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، دار الجبل، لبنان– بيروت، ط2، 1988، ص47.

[3]. محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، الأردن–عمان، ط1، 1999م، ج1، ص301.

[4]. حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس للوعود، الدار السعودية، جدة– دمام، ط2، 1985م، ص230.

[5]. حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ص301.

ولقد تميزت عن سائر مدن الأندلس لطبيعتها وموقعها فهي "برية بحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب"[1]، وذلك "لخصوبة تربتها (.....)، كما تعرف ببستان الأندلس لتنوع أشجارها"[2].

هذا دفع الأندلسيين على وصفها "بمطيب الأندلس؛ والمطيب عندهم: حزمة يعملونها من انواع الرياحين، ويجعلون فيها النرجس والآس وغير ذلك من المشمومات"[3].

كما قد لعبت الزراعة والتجارة والصناعة دورا هاما في إزدهار وتطور المدينة من كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية فمن الناحية الزراعية نجد "الغالب على شجرها القراسي ولا يخلو منها سهل ولا جبل وينبت بكورها[4] الزعفران"[5]، حيث نرى أنها شملت أيضا "الكمشري وتسمى الأرزة في قدرجية المعنب، قد جمع مع حلاوة المطعم وزكاء الرائحة"[6].

أيضا نجد من بين العوامل التي ساعدت الفلاحين على الزراعة هو المناخ والطبيعة ذات التربة الخصبة هذا ما أدّى إلى الإدرار في الانتاج لذا فهي "كثيرة الفواكه والثمار، جامعة لخيرات البر والبحر ولها أقاليم كثيرة وهي في الجزء الرابع من قسمة قسطنطين"[7].

---

[1]. شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ط، 1977م، م1، ص490.

[2]. ينظر: حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ص301.

[3]. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تصحيح: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي العربي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر–القاهرة، ط1، 1949م، ص370.

[4]. الحموي، معجم البلدان، ص490.

[5]. أحمد بن محمد، المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بيروت، د. ط، 1968م، ج1، ص179.

[6]. حميري، الروض المعطار، ص47.

[7]. علي بن موسى ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ج2، ص297.

والجدير بالذكر هنا هو المناخ المميز الذي حظيت به بلنسية وذلك بوجود "البحيرة التي تزيد ضياء بلنسية صحو الشمس عليها، ويقال أن ضوء بلنسية بلنسية يزيد عن ضوء سائر بلاد الأندلس، وجوّها صقيل أبدا، لا ترى فيه ما يكدّر خاطرا ولا بصرا لأنّ الجنان والأنهار أحدقت بها"[1].

هذه الطبيعة ألهمت بجمالها قرائح الشعراء والأدباء فأبدعوا وتفننوا في مدحها وتعداد صفاتها وعلى رأسهم ابن الزقاق البلنسي يقول:

"بلنسية جنة عالية ** ظلال القطوف بها دانية**

عيون الرحيق مع السلسبيل ** وعين الحياة بها جارية"[2].**

والملاحظ هنا أنّ الشاعر وصف البساتين والأنهار العذبة في بلنسية والتي كانت أماكن للتنزه وطلبا للعلم، وذلك راجع لانعدام المراكز التعليمية، فقد كان التعليم آنذاك في المساجد والبساتين والدكاكين وغيرها من الأماكن التي ليست في الأصل هياكل للتعليم ومع هذا لا يمكن أن نمر على الموقع الاستراتيجي الذي تمركزت فيه بلنسية، دون ان نتطرق على الفائدة الجمة التي زوّدناها في ميدان الزراعة فقد تموقعت "على بحيرة يصب فيها نهر يمر على شمالي بنسية"[3]، والذي "ينتفع به ويسقي المزارع، ولها عليه بساتين وجنان وعمارات متصلة والسفن تدخل نهرها"[4].

---

[1]. الحموي، معجم البلدان، ص491.

[2]. يقال: "الكورة المدينة والصقع والجمع كور، ابن سيدة: والكورة من البلاد المخلاف، وهي القرية"، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، د. ت، ص3954.

[3]. أبي الفدا، تقويم البلدان، ص179.

[4]. حميري، الروض المعطار، ص47.

كما كان لموقعها قرب البحر دورا بارزا في ازدهارها وتطورها من الناحية التجارية لكونها محطة للتجار القادمين عن طريق البحر ونقطة انطلاقهم إلى بقية المدن الأندلسية وإلى أوروبا "فهي عامرة القطر كثيرة التجارات، وبها أسواق وحط وقلاع"[1]، لهذا عرفت "ببلد المتجر"[2].

أمّا من أشهر الصناعات التي اشتهرت بها نجد "صناعة النسيج البلنسي، الذي يسفر لأقطار المغرب"[3].

المطلب الثاني: الحياة السياسية لبلنسية.

مرت على بلنسية خمسة عصور طيلة الفتة الإسلامية الممتدة من الفتح لغاية سقوطها.

1. فتح بلنسية:

إنّ مدينة بلنسية تعد من "المدن الرومانية الانشاء في شرقي الأندلس فقد أقامها الرومان في سنة 138 ق. م"[4]، ثم "استولى عليها القوط الغربيون سنة 413م"[5].

وبالنسبة لفاتح بلنسية لم يرد، ولا يمكن التحديد بالضبط من كان فاتح بلنسية، فهناك من يرى أنّها "فتحت سنة 94هـ/ 712م على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير في عهد أبيه، وربما فتحها أثناء ولايته على الأندلس التي دامت سنتين (95- 97هـ/ 713-

[1]. الحميري، المصدر السابق، ص47.

[2]. محمد مد الله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية في عصر الموحدين، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة مؤتة، ، 2006م، ص15.

[3]. المقري، نفح الطيب، ج3، ص221.

[4]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة لبنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، د. ط، د. ت، ص57.

[5]. محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار، ص303.

755م)"[1]، وهناك من ينسب فتحها "لطارق بن زياد عام (94هـ– 712م)"[2]؛ الذي نجده قد "اتجه بعد استيلائه على سرقسطة إلى مدينة طرطوشة وزحف للجزء الساحلي وتمكن من الاستيلاء على مربيطة وبلنسية وشاطبة"[3].

أيّا كان الامر فقد تمتعت بلنسية منذ أن ثبّت المسلمون فيها سلطانهم بنوع من الهدوء وأصبحت مدينة كبيرة.

2. بلنسية في عصر الولاة:

رغم تطور بلنسية في العهد الإسلامي، أي منذ فتحها فقد كانت مجرّد مرسى صغير كما أنّ "ملامحها الإدارية لم تتضح بعد في ذلك العهد، الذي كان عهد فتح وجهاد ضد النصارى"[4].

وقد أعقب هذا الفتح "عصر قصير امتد أربعين سنة (715– 755م)، يسمى عصر الولاة كانت الأندلس خلاله ولاية تابعة لمركز الخلافة الأموية في دمشق"[5]، وقد ترتب على هذا الفتح تغير وتعدد في الأجناس السكانية المكونة للمدينة وذلك بسبب الهجرة نحو اسبانيا مع الفتوحات "فكثر سكانها من العرب والبربر"[6].

---

[1]. محمد مد الله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية، ص16.

[2]. المرجع نفسه، ص16.

[3]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص58.

[4]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

[5]. حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص31.

[6]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

ومن الجدير أن نشير حول هذا الصدد هو أنّ "المصادر العربية قد التزمت الصمت فيما يتعلق بأحداث بلنسية في الفترة التي اعقبت السيطرة الإسلامية، فلم يرد فيها ما يثير إلى وقوع أية حوادث بإقليم بلنسية إبّان عصر الولاة"[1].

هنا ظهرت طائفة من العلماء أعطت تفسيرات حول هذا الصمت المتعلق بأحداث بلنسية فهناك من فسر عدم وقوع أية حوادث بأن ذلك راجع إلى أنّها كانت تنعم بفترة من السلم والهدوء، وهناك من يرى أنّ اهمال ذكر بلنسية في جميع المصادر العربية هو أنّ "اهتمام مؤرخي العرب كان مركزا على إشبيلية ثم قرطبة، قاعدتي الأندلس"[2].

لكن نجد البحث الإسباني إيبارس "يخرج عن هذا الإجماع فيذكر حقلا عن اسكلانو (***Iscolano***) عدة حوادث شاركت فيها بلنسية خلال الفترة الأولى من تاريخها الإسلامي"[3].

والمرجع هو ما قاله إيبارس حيث نجد بلنسية قد شاركت في العديد من الحوادث المهمة في الأندلس.

كما نجد أنّ من حكام بلنسية والمنتزين بها في عصر الولاة هو "أبو القائم الهذلي (ت 111هـ) تولى الحكم حوالي سنة 95هـ في عهد عبد العزيز بن موسى وبعده محمد بن بكر (102- 107هـ) في عهد عبد العزيز بن موسى أيضا"[4].

3. بلنسية في ظل الإمارة الأموية بالأندلس:

لقد ضلت مدينة بلنسية تابعة للخلافة الأموية بالمشرق إلى أن سقطت في دمشق عام 749م.

---

[1]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص59.

[2]. المرجع نفسه، ص60.

[3]. المرجع نفسه، ص60.

[4]. ينظر: المرجع نفسه، ص323.

فكان عبد الرحمان الداخل[1] "من القلائل الذين افلتوا من أيدي العباسيين الذين انتزعوا الخلافة من الأمويين وتعقبوهم بالقتل"[2].

فعندما أعلن العباسيين خلافتهم وثبتوا سلطانهم هرب "إلى المغرب وتردد بنواحي افريقية (.....)، ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهزم أميرها يوسف ابن عبد الرحمان الفهري، (....) واستوسقت[3] له الخلافة ليوم آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة"[4].

وبهذا قد سجل بدخوله "نهاية لعصر الولاة وبداية لدولة بني أمية في الأندلس"[5]؛ حيث أسس له ملكا فيها رغم أنّه دخل الأندلس وحيدا "وأغلب الظن أنها تحولت إلى كورة منذ أن استقر الأمير عبد الرحمان الداخل (.....)، وشرع في تنظيم دولته الفنية، وأصبحت بلنسية مركز لكورة تحمل نفس الدعم"[6].

لقد تعدد الولاة الذين حكموا بلنسية فنجد "ممن تولوا أعمال بلنسية في عهد الإمارة الأموية (755هـ/ 929م) كان عبد الله البلنسي بن عبد الرحمان الداخل"[7]، الذي أسس دولة بني أمية.

---

[1]. عبد الرحمان الداخل: "أي الذي دخل الأندلس"، فهو أول من دخل الأندلس من بني أمية، حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص32.

[2]. أنجل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، د. ت، ص02.

[3]. استوسقت له الخلافة: "أي أنّ الأمر استقر له في مدى يوم واحد بعد انتصاره على يوسف الفهري، انتصر عليه يوم الخميس 9 ذي الحجة 138هـ واستقر له الأمر في نهاية اليوم التالي وهو يوم الجمعة 10 ذي الحجة 138هـ" ،ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج1، ص35.

[4]. ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1، ص35.

[5]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص61.

[6]. المرجع نفسه، ص62.

[7]. محمد مد الله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية، ص07.

وأهم ما حدث في فترة عبد الله البلنسي أنه "اتخذ هو وأستره من بلنسية موطنا فنسب إليها"[1].

كما أنّه عرف بطعمه في السلطة بهذا إذ دلّ على الجشع بحق الشيء لكن لا يمكن أن نقص النظر على الجانب على الجيد فيه وهو الطموح العالي الذي يتميز به للوصول لأهدافه ألا وهي السلطة لذلك "قام بالأمر لأخيه هشام بن عبد الرحمان، إذ كان غائبا عند وفاة أبيهما بمرادة"[2]، لأنّ أخوه الهشام هو "من تولى إمارة الأندلس بعهد من أبيه (....)، فحاول أن يتولى أمر الأندلس"[3].

ولم يتوقف البلنسي عند هذا الحد رغم فشله في أخذ الإمارة من أخيه فنراه قد ثار مرّة أخرى على "الحكم الرجعي بعده"[4].

والذي بويع "بعد وفاة أبيه بليلة واحدة يوم الاثنين 08 صفر سنة 120هـ، وهو ابن 26 سنة، وكان أبوه هشام قد عهد إليه ولاية العهد (.....)، وبدأ الحكم عهده بمحاربة لبعض اقربائه الطامعين في الإمارة –عبد الله البلنسي–، لكن اتجه إلى بلنسية (....)، بعد أن عفا عنه الحكم، وصالحه سنة 186هـ، مقابل بقائه طول حياته في بلنسية"[5]، ولذلك "استقر به الأمر في بلنسية يتولى حكمها ما بقي له من عمره"[6].

---

[1]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

[2]. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص363.

[3]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

[4]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص69.

[5]. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، دار المعارف، لبنان، د. ط، د.ت، ص220– 221.

[6]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص69.

وبعد وفاة الحكم الهاشم خلفه في إمارة "ابنه عبد الرحمان بعهد منه، وجرى انتقال السلطة يوم الخميس في (26 ذي الحجة 206هـ/ 22 أيار 822م)"[1].

هنا أيضا حاول البلنسي ذلك الثائر التقليدي الخروج على حكامه للمرة الثالثة، وكانت هذه المرة على عهد عبد الرحمان الثاني "فسار إلى تدمير يزيد قرطبة، فتجهز له عبد الرحمان فحام عن اللقاء، ورجع إلى لنسية ومات أثر ذلك"[2]، بسبب المرض "عام (208هـ) فاسترجعها عبد الرحمان إلا وسط وعين عليها واليا من قبله"[3].

والمعروف أنّ "عامل بلنسية في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط كان يدعى ابن ميمون"[4]، إلى أن خلفه في الإمارة "عبد اله بن محمد بن عبد السبت في منتصف شهر صفر سنة 276هـ (.....)، فقد قامت عدّة ثورات في عهده بالإضافة إلى ثورة العرب بإشبيلية فتغلب دسيم بن إسحاق"[5].

واستغل الأمر حيث "استقل بحر سينة وبلنسية ولورقة (....)، وتوارثها أولاده من بعده"[6].

---

[1]. محمد سهيل طقوس، تاريخ المسلمين في الأندلس، لبنان، بيروت، ط3، 2010م، ص201– 202.

[2]. عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبير، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان– بيروت، د. ط، 2000م، ج4، ص163.

[3]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، 1985م، ص89.

[4]. أبو مصطفى، تاريخ مدين بلنسية، ص74.

[5]. ينظر: علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس (منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة)، دار قباء، القاهرة، د. ط، 2001م، ص145.

[6]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص89– 90.

4. بلنسية في عصر الخلافة:

حفل عهد الإمارة الأخير أي الفترة التي تمتد من تاريخ وفاة عبد الرحمان الأوسط سنة (283هـ)، حتى إمارة عبد الرحمان بن محمد سنة (380هـ) بالفتن والثورات، التي شملت سائر انحاء الأندلس، فتفتت وحدة البلاد وانتشر القادة والرؤساء بالمدن والأقاليم، وعرف هذا العصر بعصر الطوائف الأول فقد "كان الأمير عبد الله قد قتل ابنه محمد لاتهامه بمؤامرة، فتحول ندم الأمير على قتله لابنه أين عطف على حفيده، وكان هو ذكيا حيث يقوم بالوساطة بين الأمراء ورجال الدولة وجده، فنشأ محبوبا بين الجميع مقربا إلى جده، ولما توفي جده أجمع اهل القصر على مبايعته وهكذا أصبح عبد الرحمان أمير قرطبة"[1].

ولما توفي عبد الرحمان الناصر منذ اعتلائه حكم الإمارة قام "بالقضاء على ثورة بني حفصون، واقتلاع جذورها، شعر الأمير عبد الرحمان بأنّه اجتاز أصعب المراحل في طريق الوحدة السياسية"[2].

فقد وضح جدا "لهذا التفتت السياسي ونهج سياسة تقوم على الترهيب والترغيب"[3]، وبعد أن بلغ هذا المبلغ من القوة النفوذ "وجد أنهّ اللقب الذي توارثه عن أسرته وأجداده وهو الإمارة لم يعد يتسع لطموحه الكبير، فأعلن نفسه خليفة تيمنا بأجداده الأمويين خلفاء دمشق"[4].

دمشق"[4].

[1]. ينظر: حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس (فكر وتاريخ وحضارة وتراث)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1996م، ج1، ص111– 112.

[2]. شطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص154.

[3]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص75.

[4]. شطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص155.

ومنذ ذلك التاريخ ساد الهدوء في بلنسية "وعدننا نسمع عن ولاّة تصدّر بتنصيبهم على ولايتها"[1].

فعين وأصبح عاملا عليها في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر هو "عبد الله بن محمد بن عقيل ثم تعاقب عليها عدد من العمال"[2]، منهم "محمد بن إسحاق الذي خلفه محمد إلياس في سنة 323هـ، ولم يستمر إلياس في حكم بلنسية إلاّ عاما واحدا فلم يلبث أن عزله الخليفة سنة (324هـ/ 935م) وولى بدلا منه موسى بن محمد"[3].

أما من أشهر من حكم بلنسية نجد على رأسهم "جحاف بن يمني بن سعيد الذي استشهد في غزوة الخندق سنة (327هـ/ 939م) ثم تولى قضائها عدد من ذريته"[4].

ورغم ما كان عليه عصر عبد الرحمان الداخل من فتن وحروب إلاّ أنّه كان "عصر عظمة ورخاء ومجد، بل كان في الواقع أعظم عصور الإسلام ببلاد الأندلس"[5].

أمّا في عهد خليفته وهو ابنه الحكم المنتصر "اعلم من تربع على كرسي الخلافة"[6]، وذلك "سنة (350- 366هـ/ 991- 776م)"[7].

---

[1]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص76.

[2]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

[3]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص76.

[4]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

[5]. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح إلى بداية عهد الناصر)، مكتبة الخانجي، مصر-القاهرة، ط4، 1997م، ق1، ص435.

[6]. حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص208.

[7]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص77.

فقد برز منهم "قاضي بلنسية عبد الرحمان بن جحاف، وكان من المقربين (...)، كما تولى بلنسية شخصيات بارزة نخص بالذكر منها هشام بن محمد بن عثمان"[1].

وبعد أن توفي الحكم المستنصر "في سنة 366هـ (....)، تقدم في خلافة أبيه وجده المؤيد بالله (....)، بربع له يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة 66هـ، بعهد من أبيه وهو ابن إحدى عشر سنة وثمانية أشهر"[2].

وبما أنّ المؤيد صغيرا على تولي أمور إمارته فقد "تولى حجابته وتنفيذ أموره وتدبير مملكته، أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر"[3]؛ حيث أنّ "شغف أمر هشام بابن أبي عامر (....)، أوصلته إلى حيث وصل من الحال التي لم يتمكن لأحد قبله ولا بعده مثلها؛ فسلب هشاما ملكه وجنده وماله"[4]، وبذلك "وترا على بلنسية ومرسية في حجاية المنصور، محمد ابن أبي عامر الشاعر الكاتب والوزير عبد الملك بن شهيد"[5].

وبذلك عمل بالقيام في "سنة 381هـ بأن رشّح المنصور ولده عبد الملك للولاية، وتقدم أخاه عبد الرحمان للوزارة، وترك اسم الحجابة واقتصر على التسمي بالمنصور"[6].

وبالتالي خلف عبد الرحمان أباه المنصور في الحكم، "ولما مات عبد الملك المطرف خلفه أخوه أبو المطرف عبد الرحمان بن المنصور الملقب بشنجول"[7]، فاستمر الحال على ما

---

[1]. ينظر: ابو مصطفى، المرجع السابق، ص77– 78.

[2]. ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان– بيروت، ط2، 1980م، ج2، ص253.

[3]. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص27– 28.

[4]. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ص280.

[5]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص78.

[6]. ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ص293.

[7]. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص343.

ما هو عليه إلى أن عزم "شنجول الاستئثار بالخلافة مما أدى لمقتله وسقوط الدولة العامرية، وقيام الصراعات بين العناصر المختلفة في الدولة كالبربر والصتالبة وأهل قرطبة، وهي ما تعرف بالفتنة القرطبية التي انتهت بسقوط الخلافة الأموية في 422هـ"[1].

وبهذا قد "خرج حكم الأندلس من أيدي الأمويين لأوّل مرّة، وحكم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي نحو عشرين أسرة مستقلة، في نحو عشرن مدينة أو مقاطعة، ويسمى هؤلاء بملوك الطوائف"[2]؛ وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الإسلام في الأندلس وهي عصر الطوائف.

5. بلنسية في عصر دويلات الطوائف:

يبدأ عصر دويلات الطوائف، منذ سقوط الدولة العامرية[3]، وذلك في نهاية المائة الرابعة، عندما إنهار سلطان الخلافة وتمزقت اوصال الأندلس، وإذا كانت الخلافة قد واصلت الحياة حتى سنة 422ه (1031م)"[4].

---

[1]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص79.

[2]. شطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص200.

[3]. الدولة العامرية: "هي ذروة تاريخ الأندلس وأقوى فتراتها على الإطلاق، وقد بدأت فترة هذه الدولة فعليا منذ سنة (366هـ/ 976م) منذ أن تولى محمد بن أبي عامر أمر الوصاية على هشام بن الحكم وضلت حتى (399هـ/ 1009م)، أسسها الحاجب المنصور"، راغب السرجاني، الدولة العامرية في الأندلس، www.ISLAMSTRORY.com، 26/ 05/ 2022م، 11:00.

[4]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص83.

ولما سقطت الخلافة بقرطبة، وانفرط عقدها وكبار العرب والبربر، واقتسموا خططها وقام كل واحد بأمر ناحية منها"[1]، وأصبحت بلنسية "شأنها شأن العديد من مدن الأندلس مملكة مستقلة"[2].

فتولى على حكم بلنسية ولاة عديدون فقد "كانت بيد هشام المؤيد"[3]، وتمكن "المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار من انتزاع الخلافة من هشام المؤيد"[4]، وكان يحكمها آنذاك "مجاهد العامرين ثم انتزعها منه الفتين مبارك ومظفر، فحكم الأوّل شاطبة، واختص الثاني بحكم بلنسية (.....)، وانتهت دولتهما بوفاتهما في عام (407هـ/1017م)"[5]؛ حيث "اتفق الأهالي على دعوة لبيب الصقلي صاحب طرطوشة لتسلم مقالد الحكم في بلنسية"[6].

وتشير بعض المصادر إلى أنّ "مجاهد العامري صاحب دانية شاركه في حكمها"[7] غير أنّ الأمور لم تسر كما يجب وذلك لما حدث بينهما من خلافات "ولم يحسم الأمر إلاّ باختيار عبد العزيز بن عبد الرحمان شنجول في عام (411هـ/ 1021م)"[8]، فبقي يحكمها إلى أن "توفي بها في ذي الحجة سنة اثنين وخمسين وأربعمائة"[9]، وتولى بعده ابنه عبد الملك الملك بن عبد العزيز "الملقب بالمظفر (....) وقد تزوج ابنة المأمون حاكم طليطلة"[10]؛ حيث

---

[1]. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص200.

[2]. حتاملة، موسوعة الديار، ص306.

[3]. ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس وتامغرب، تحقيق: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان–بيروت، ط3، 1983، ج3، ص301.

[4]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص88.

[5]. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص455– 456.

[6]. أبو مصطفى تاريخ مدينة بلنسية، ص96.

[7]. المرجع نفسه، ص96.

[8]. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص456.

[9]. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، ص302.

[10]. حتاملة، موسوعة الديار، ص306.

"بويع بشاطبة وبلنسية يوم موت أبيه في ذي الحجة وسكن بلنسية إلى أن أخرجه منها صهره المأمون بن يحي بن ذي النون"[1]، وأولى إلى "أبي بكر محمد بن عبد العزيز بإدارة شؤون المدينة (....)، وعندما توفي المأمون في عام (467هـ/ 1075م)، انتهز أبو بكر هذه المناسبة وانتقل لحكم بلنسية"[2].

وقد حاول عهد أبي بكر، المؤمن بن هود، صاحب سرقسطة، في ضم بلنسية إلى أملاكه"[3]، لكن "بدأت العلاقات الودية تسود بين بلنسية وسرقسطة"[4]، فوجد أن مصلحته "تقضي بالتفاهم مع المؤتمن، ففواضه وتقرب إليه المصاهرة"[5]، ظل أبو بكر أميرا على بلنسية إلى أن توفي، "وقد خلفه في حكم بلنسية ابنه أبو عمر وعثمان بن أبي بكر الذي لم يحكم بلنسية سوى بضعة أشهر"[6]، وفي هذه الظروف وقع حادث خطير وهو "سقوط طليطلة بعد بضعة أيام على يد القونسوا السادس ملك فشتالة، (....) واتفاق الملك القشتالي مع يحي القادر بن ذي النون لاسترداد بلنسية وإعادة هذا الأخير إلى حكمه"[7]، وبعد محاولات مع أهلها "دخلها القادر بحماية الجنود النصارى (.....) إذ عانت المدينة كثيرا من الأهوال"[8].

---

[1]. ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، ص303.

[2]. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص456– 457.

[3]. المرجع نفسه، ص457.

[4]. أبو مصطفى تاريخ مدينة بلنسية، ص119.

[5]. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص457.

[6]. حتاملة، موسوعة الديار، ص307.

[7]. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص457.

[8]. حتاملة، موسوعة الديار، ص307.

فلم يقبل البلنسيين "أن يحكمهم حليف للنصارى، فاستودعوا ابن جحاف قائد يوسف بن تاشفين، فوجه إليهم فرقة من جيوش المرابطين، ففر القادر من قصره، وقتله بأمر من القاضي حجاف، (.....) وتمت لابن جحاف، لمقتل ابن ذي النون، رياسة المدينة"[1].

وبعد حدوث حل هذه المستجدات وصلت "إلى مسامع السيد القنبيطور، وهو بسرقسطة فاشتد غضبه لما أصاب القادر"[2]، وحاصر بلنسية "في آخر رمضان من سنة 485هـ، وظل وظل يضيق الخناق عليهم حتى جمادى الأولى 487هـ، حيث سقطت في يده بعد ان أحرق قاضيها ابن جحاف (....)، وحكم السيد القنبيطور حتى وفاته سنة 492هـ، ثم حكمتها بعده زوجته خيمينيا حتى سنة 495هـ حيث استردها المرابطون"[3].

وحسم ذلك في "الخامس من شهر مايو 1102م وعادت بلنسية بذلك من جديد إلى حضيرة الإسلام"[4]، وبهذا توالي عليها إمراء المرابطين، "ثم استقل بها يحي بن غانية الذي وثرا جميع شرق الأندلس، وولى على بلنسية أخاه عبد الله بن غانية"[5].

6. بلنسية في عهد الموحدين:

ننتقل الآن إلى ناحية أخرى من تاريخ الدولة المرابطية فقد شاء القدر "بينما هي في أوج قوتها ورسوفها إذ بها تجد نفسها فجأة امام فورة دينية صغيرة، تغمر كل شيء فيهان ثم تنتهي بعد صراع قصير الأمد، بالقضاء عليها: تلك هي ثورة المهدي ابن تومروت، التي أسفرت عن قيام دولة من أعظم الدول الإسلامية، وأضخمها رفعة، هي الدولة الموحدية

[1]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص90.

[2]. أبو مصطفى تاريخ مدينة بلنسية، ص148.

[3]. حتاملة، موسوعة الديار، ص308.

[4]. أبو مصطفى تاريخ مدينة بلنسية، ص191.

[5]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص91.

الكبرى"[1]، وبما أنّ "المهدي لم يعين خلفا له او وريثا، فقد جرت الأمور بتسوية بين قائديه عبد المؤمن وأبي حفص عمر دامت سنتين ثم تم الاعتراف بعبد المؤمن خليفة للموحدين في عام 1132م (....)، وبعد انتخابه أعلن عن وفاة المهدي"[2]، وبدأ عبد المؤمن مباشرة حربه مع المرابطين حيث "انهارت دولة المرابطين في المغرب والأندلس على يده، واستطاع ان يوطد عرشه بالمغرب بسحق الخارجين عليه، وأن يفتح الأندلس كلها من يد خصومه النصارى والمسلمين"[3]، لم تكن تلك الثورات التي نشبت ضد المرابطين في أواسط الأندلس وغربها، سوى جانب فقط من الثورة العامة، التي اضطرمت بها الأندلس من أقصاها إلى أقصاها، ذلك أنّ ريح الثورة قد اجتاحت في الوقت نفسه شرقي الأندلس كله، من بلنسية إلى أعمرية، فقد كانت الثورة في شرقي الأندلس، أعرق وأصمد منها في الغرب.

حيث أنّ السبب في "استفحال الثورة وصمودها في شرقي الأندلس، هو انحصار عامتها، وتركيزها مدى أعوام طويلة، في شخصية واحدة قوية (.....)، تلك هي شخصية محمد بن سعد بن مردنيش، أعظم ثوار الأندلس ضد الموحدين"[4]، كما نجد أنّ بلنسية كانت تحتل شرقي الأندلس بنفس المكانة التي تحتلها قرطبة في الوسط واشبيلية في الغرب لذا نرى أنه عندما "نشبت الثورة في قرطبة، بعد نشوبها في الغرب، (....) ظاقت ريح الثورة بقواعد شرقي الأندلس، وهاجت الخواطر في بلنسية وغيرها واجتمع واليها عبد الله بن محمد بن غانية وقاضيها أبو عبد الملك بروان بن عبد العزيز، وثقافتها بالرغم ما كان بينهما من

---

[1]. ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس لعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجين مصر– القاهرة، ط2، 1990، ق1، ص156.

[2]. نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد ابن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان– بيروت، ط1، 1955م، ج2، ص333.

[3]. ينظر: يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، تقديم: سليمان العطار، المركز القومي، القاهرة، د. ط، 2011م، ج2، ص49.

[4]. عنان، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص354.

مناقشة (.....) على الأشلاف في ضبط المدينة"[1]، بيد أنّ هذا التفاقم بين زعيمي المدينة، لم يكن سوى ستار، لما يضطرم في الأنفس "وسرعان ما توجب الوالي عبد الله ن غانية من نيات زميله وحليفه القاضي (.....)، فبعث أهله وأمواله خفية إلى شاطبة، وبالرغم ما وقع بينه وبين جند بلنسية من مناوشة إلاّ أنّه استطاع أن يلوذ بالفرار ويصل لشاطبة"[2]؛ ثم "ثار أهل بلنسية على المرابطين واجتمعوا إلى القاضي ابن عبد العزيز الذي قام بأمرها سنة 539هـ، (.....) واتّسع ملكه إلاّ أنّ جنده ثاروا عليه (....) ففرّ إلى مراكش"[3]؛ حيث أنهم "خلعوه لمدة ثلاث أشهر من ملكه (....)، وبايع أهل بلنسية (....)، للأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي"[4]، وقد بايع أهلها بعده "عبد الله بن عياض، وكان ثائرا بمرسية، إلاّ أنّه توفي سنة 542هـ/ 1147م، فتولاها محمد بن أحمد بن سعيد بن مردنيش"[5]، ومن ثم تولى "أبو عبد الله هذا أخاه أبا الحجاج يوسف على بلنسية"[6]، أمّا في سنة سنة ست وستين وخمسمائة (....) جاز أمير المؤمنين يوسف إلى الأندلس لينظر في ضبط ثغورها (....)، ثم خرج بعد السنة إلى الغزو، فغزا مدينة طليطلة، وفتح حصون كثيرة من أحوازها"[7].

---

[1]. ينظر: عنان، المرجع السابق، ص354– 355.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، ص355.

[3]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص92.

[4]. عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص212– 213.

[5]. حتاملة، موسوعة الديار، ص310.

[6]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص92.

[7]. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس (في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس)، صور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972م، ص211.

فنجد في سنة 580هـ (....) كانت وفاته بمحلة غزاته، ليلة الثامن والعشرين لربيع الآخر"[1]، وفي عهد خليفته يعقوب بن يوسف "استأنف الموحدون في التاسع من شعبان 591هـ فانكسرت شوكتهم إلى حين ولما استجمع النصارى قواهم (.....) تمكنوا بقيادة ملك فشتالة الفرنسو الثامن من الحاق الهزيمة بالمسلمين في معركة العتاب 609هـ"[2]، إلى أن تلاشى أمراء الموحدين من بعده و"أنثرى السادة بنواحي الأندلس في كل عمله"[3].

وعلى إثر ضعف دولة الموحدين تمكن زيان ابن أبي الحملات ان يستقر ببلنسية حيث "دخلها في صفر سنة 626هـ، وأقام بالقص وأخذ البيعة لنفسه، ودخلت دانية في يعته فضخم ملكه، وأشتهر بجهاده"[4]، وفي عام "(634هـ) توجهت القوات الأراغونية إلى حصن أنشه، الذي يشرف على مرج لنسية وحدائقها فاستولت عليه (...)، وشعر أبو جميل بالضغط الأرغواني المنطلق من حصن أنيشة، فقرّر استعادته على الرغم من وضعه السيئ، إلاّ أنّه تعرض لهزيمة قاسية أدت إلى انهيار قوى بلنسية، وقربت من نهايتها"[5].

ولمّا أحس أبو جميل زيان أنّه لن يستطيع الثبات وحده "قرّر ارسال سفارة إلى أبي زكريا الحفصي صاحب افريقية (تونس) وندب لها ابن الأبار، وتلك هي السفارة التي أنشأ فيها ابن الأبار قصيدته"[6]؛ المعروفة "بالسينية الرائعة التي اشتهرت في التاريخ وفي الشعر أيضا"[7]، والتي قال فيها:

---

[1]. لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تاريخ اسبانية الإسلامية (كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، تحقيق ليني بروفنسال، دار المكشوف، لبنان– بيروت، ط2، 1956م، ص269.

[2]. حتاملة، موسوعة الديار، ص310– 311.

[3]. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص214.

[4]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص92.

[5]. أرغون: هو اسم بلاد غرسية بن شانجه تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، الحميري، الروض المعطار، ص12.

[6]. ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص568.

[7]. ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة– النيل، ط2، 1985م، ج1، ص35.

"أدرك بخيلك، خيل الله، أندلسا ** إنّ السبيل إلى منجاتها درسا"[1].**

"فقام أبي زكريا بتلبية نداء الاستغاثة وبعث إليهميحي بن أبي زكريا صاحب افريقية من الأموال والأسلحة والطعام"[2]، ثم كل هذا إلاّ أنّ الأسطول الحفصي لم يتمكن من إفراغ حمولته في بلنسية، يفعل تدخل الأسطول الأراغوني الذي منعه من الاقتراب من المدينة"[3].

وظل زيان بن أبي الحملات يدافع عن بلنسية، ضد الحصار الأراغوني لبقاء الخايمي يرميها "بالمجانيق وشدّة القتال، وما زال المسلمون تنقص أعدادهم، والنصارى تتوارد أمرائهم، إلى أن نفذت الأقوات، واستولى الجوع، وضعفت القوى، وبلغ الكتب أجله"[4]، فاضطروا إلى "مفاوضة الأعداء على التسليم، فتم ذلك"[5].

في يوم "الجمعة التاسع من أكتوبر سنة 1238م، الموافق للسابع والعشرين من صفر سنة 636هـ، دخل خايمي الفاتح ملك أراغون (...)، مدينة بلنسية وحول المساجد في الحال إلى كنائس وطمست سائر قبور المسلمين"[6]، وهكذا اسقطت بلنسية في أيدي النصارى، بعد أن حكمها المسلمون، منذ الفتح خمسة قرون وربع قرن، سطعت في شرقي الأندلس "وقد أذكت محنة للبلنسية وسقوطها في أيدي النصارى، فجيعة الشعر والنثر بالأندلس، على نحو ما فعلت محنة طليطلة، وسقوطها، وصدرت في رثائها طائفة كبيرة من القصائد والرسائل المبكية"[7]؛ نذكر منها رسالة ابن الأبار يتساءل فيها عن بلنسية حيث يقول: "أين بلنسية

---

[1]. أبي عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي، ديوان ابن الأبار، تعليق: عبد السلام الهراس، البلد التونسية للنشر، تونس، ط2، 1986م، ص408.

[2]. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص215.

[3]. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص569.

[4]. ابن خطيب، أعمال الإعلام، ص273.

[5]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص92.

[6]. عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، ط2، ق 02، ص450.

[7]. المرجع نفسه، ص451.

ومغانيها، وأغاريد ورقها وأغانيها؟ أين صلى رصافتها وحسرها، ومنزلا عطائها ونصرها؟ أين أفياؤها تندى غضارة، وركاؤها تجدو من حضارة، أين جداولها الطفاحة وخمائلها؟ أين جنابئها النفاحة وشمائلها؟"[1].

المبحث الثاني: العلم والثقافة في بلنسية عبر العصور.

كان اهتمام البلنسيين كبير في المجال الثقافي فقد أولوه عناية بالغة لما له من أثر في تطور وازدهار حضارة البلاد فعمل الخلفاء آنذاك على الاعتناء به من جميع النواحي من أجل العلو فيه وإنشاء جيل مثقف.

المطلب الأوّل: العوامل المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية في بلنسية.

إذا كانت الأندلس قد نجحت سياسيا في الانسلاخ من الشرق الإسلامي في العصر العباسي، فإنها لم تستطع التخلص من التبعية له في المجال العلمي والثقافي، " ولم يمنعها بعدها عن قلب العالم الإسلامي من أن يتدفق عليها التراث العربي من المشرق في شتى العصور"[2]، فقد اعتمدت الأندلس بادئ الأمر على التراث الإسلامي في المشرق، وكان هذا الاعتماد أما عن طريق استقدام العلماء المشارقة إلى الأندلس، أو عن طريق رحلة الأندلسيين إلى المشرق للتزود بالعلم والتحصيل في مختلف أنواع الفنون والعلوم والآداب.

أولا: بداية من عصر الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الولاة (94هـ_ 138هـ).

لقد كانت بلنسية في هذه الفترة تابعة للخلافة الأموية بالمشرق، ورغم تطورها إلا أنها لم تتضح معالمها بعد وذلك لأنه كان "عهد فتح وجهاد ضد النصارى"[3]، ولم يدم سوى 40

[1]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص93.

[2]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص289.

[3]. حتاملة، موسوعة الديار، ص305.

عاما "فم يشهد عصر الولاة في الأندلس نشاطا عليما كبيرا كما حدث في ثلاثة من العصور[1]"، ولكن رغم كل هذا لابد أن نوضح "بأن المسلمين الذين فتحو الأندلس، ومن هاجر إليها بعد الفتح، كان بين صفوفهم الكثير من العلماء والفقهاء أمثال موسى بن نصير (...) ومما لاشك فيه أنه كان لهؤلاء (...) دور كبير في تفقيه الناس والعمل على إرشادهم إلى تعاليم الإسلام"[2]، إي كان لهم الدور الكبير في التأثير على الحياة الثقافة والعلمية في لأندلس وبهذا يعدون "نواة طيبة للنشاط العلمي في الأندلس وبخاصة في حقل العلوم الدينية[3]".

ثانيا: من عصر الإمارة إلى نهاية ملوك الطوائف (138هـ _ 497هـ).

لقد شهد عصر ملوك الطوائف تمزقا في الوحدة السياسية تعاظمت معه صور العصبية الجهوية، إلا أن الحياة العلمية والثقافية والفكرية كانت على النقيض في أوج حالاتها جاءت هذه النتيجة كحتمية تاريخية لميراث الماضي وتراكم المعارف ومن بين العوامل التي كان لها الدور الكبير في ازدهار العلم والثقافة في بلنسية إبان عهد ملوك الطوائف والإمارة نجد:

1. الاتصال العلمي بين بلنسية والمدن الإسلامية.

كان للاتصال العلمي الدور البارز في ازدهار الثقافة في بلنسية وتطورها تمثل في:

---

[1]. سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1997م، ص34.

[2] . المرجع نفسه، ص34.

[3]. المرجع نفسه، ص35.

أ. **الرحلة العلمية:** لقد "أصبحت الأندلس والمغرب إقليما واحدا يتنقل فيه المغاربة والأندلسيون، ولعل ما يشد الانتباه للاحتكار بين السكان[1]"، ومن المعارف أن الرحلة في طلب العلم ولقاء شيوخ العصر كانت دائما من أقوى الأسباب التي أعانت على خلق بيئة ثقافية، فبواسطتها يحدث التفاعل والتواصل في الأفكار التي ينقلها شيوخ العلم عندما يقصدون مراكز العلم.

"فقد أمدتنا كتب التراجم الأندلسية أمثلة عديدة توضح ذلك الأندلس والمغرب والمشرق الإسلامي، وبطبيعة الحال كان الطلاب العلم يتلقون علومهم على الشيوخ عصرهم[2]".

أي أن الطلاب البلنسيين الذين شأوا في بلنسية وتربوا فيها كانوا يتعلمون ويتلقون العلوم من مشايخ بلدهم، فإذا انتهوا يبدؤوا في السعي للتنقل إلى الشيوخ في مدن الأندلس لطلب الاستزادة في العلم والمعرفة، ومما لاشك فيه أن قرطبة كانت كعبة طلاب العلم من أهل بلنسية(...)، فقد كانت تنافس آنذاك بغداد وغيرها من حواضر الإسلام التي أزهرت فيه العلوم والآداب كدمشق والمدينة والبصرة والكوفة."[3]

وتأتي في نهاية المرحلة الأخيرة التي يقوم بها طلاب العلم البلنسيين وذلك "بالرحلة خارج حدود الأندلس إذا ما تهيأت لهم الظروف لتحقيق ذلك سواء لطلب أو لأداء فريضة الحج أو للتجارة"[4].

ب. **العلماء الذين رحلوا من بلنسية للاستزادة بالعلم:** "أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الحجري من أهل بلنسية، ويعرف بابن نمارة، ولمكني أبا العباس (....)، كانت له رحلة

---

[1] . فاتن كوكة، التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين (484هـ_ 670هـ)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د. ط، 2012، ص 23.

[2]. أبو مصطفي، تاريخ مدينة بلنسية، ص 298.

[3]. المرجع نفسه، ص 289.

[4] . المرجع نفسه، ص 289.

وحج فيها وعاد إلى بلده فحدث وأخذ عنه، وله مجموع صغير في الفقه"[1]، وأيضا يوجد " أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الأنصاري الواعظ من ناحية بلنسية يعرف بالشارقي، ويكني أبا العباس، كان فقها، وألف كتابا صغيرا في أحكام الصلاة (....)، وحكي أنه سمع من كريمة يعني المروزية كتاب البخاري في رحلته التي رجع فيها وسمع من عبد الجليل الساوي ووصفه بالمشاركة في معرفة الأصول."[2]

2. المكتبات وجمع الكتب:

كانت في بلنسية دكاكين خاصة وأسواق لبيع الكتب، فهي من أهم العوامل في انتشار وازدهار العلوم فيها؟ ومما قبل في ذلك":

"مجالسة السوق مذمومة ** ومنها مجالس قد تحتسب**

فلا تقربن غير سوق الجياد ** وسوق السلاح وسوق الكتب."[3]**

أ. **مكانة الكتاب:** مما أثرى الحياة العلمية والثقافية في العصر الطوائف، التجارة بالكتب، فلكثير النسخ والتأليف مما أدى لتعدد النسخ من الكتاب الواحد، فحافظ غالبا على أكثر التراث من الضياع ووفرت مادة علمية للمؤلفين لذا أبدعوا في التأليف وبرعوا في شتى العلوم، كما قامت دكاكين الكتب في نشر العلم ولاتصال بين العلماء.

---

[1]. ابن الأبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان– بيروت، د.ط، 1995م، ج1، ص 32.

[2] ابن الأبّار، المصدر السابق، ص 31.

[3]. علي سليمان محمد، أماكن بيع وشراء الكتب في الأندلس، منتدى العلماء، www.msfonline.com، 21 ماي 2022، 21:28.

"وجدير بالذكر أن نشير إلا أن قرطبة الإسلامية عرفت من الكتب وخزائنها وهراة جمع الكتب أكثر مما تعرفه اسبانيا حاليا خاصة في سرقسطة وبلنسية على كونها تعدان ألان من كبريات المدن الاسبانية المعاصرة"[1].

فلم تكن قرطبة وحدها تهتم بالكتب وجمعها، بل نافستها العديد من المدن فكان في اشبيلية سوق خاص بالكتب تباع فيه جميع الكتب في شتى حقول العلم (...)، وكذلك مديني بلنسية ومالقة وغيرهما من المدن التي اشتهرت بهذا اللون من الاهتمام العلمي، فكانت تلك العواصم والمدن تزخر بمئات العلماء وطلاب المعرفة ومحبي الكتب وهواة اقتناءها"[2].

ب. مشاهير هواة جمع الكتب البلنسيين: أكثر وأهم من اهتموا بالكتب الثمينة والنادرة في الأندلس عامة وبلنسية خاصة هم ملوك الطوائف، وبعض وزرائهم وعلمائهم، لنجد على رأسهم بن ذي النون صاحب بلنسية أخذ كتب الأروشي من داره وسيقه إلى قصره ذلك مائه عدل وثلاثة وأربعون عدلا من أعدال الحمالين"[3].

بالرغم من وفاءه العمل، إلا أنه إشارة واضحة عن شغف بن ذي النون بالكتب" فقد كان المأمون بن ذي النون محبا للكتب، مجدا في اقتناءها"، وهناك علماء كثيرون في شتي فروع العلم، اهتبلوا تلك الفرصة، واستغلوا تلك النزعة العلمية لدى المأمون فأهدوه مؤلفاتهم"[4].

---

[1] . سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الاندلس، مركز الملك فيصل، الرياض، ط 1، 1993، ص 189،

[2]. البشري، المرجع السابق، ص 190.

[3]. المرجع نفسه، ص 192.

[4] المرجع نفسه، ص 192.

وأيضا ممن حكموا بلنسية هو مجاهد العامري فقد كان "محبا للكتب ساعيا في اقتناءها حتى جمع مزفارا العلوم خزائن جمة"[1]، لقد سبقت الإشارة عن الاروشي الذي سرق مكتبة بن ذي النون، فهو عبد الله بن حيان بن فرحون الأروشي، نزيل بلنسية، (....) وكان من أعظم أهل عصره شغفا بالكتب وجمعها واقتناءها، وكان قد أخفى من كتبه قبل إن ينتهبها المـــأمون نحو الثلث."[2]

وأخيرا فإن هذا للون من النشاط العلمي، لمجد بحق صفحة مشرقة في تاريخ الفكر الأندلسي، ويجعل بلنسية ولأندلس في صدارة بين أرقى الشعوب آنذاك.

ج. تجارة الكتب: أن تجارة الكتب من أهم العوامل الجديرة بالذكر التي لها أثر بالغ في التواصل العلمي بين المشارقة والأندلسيين، وإليها يعود الفضل في اتساع التبادل الفكري، "ومن العوامل التي أدت إلى ازدهار تجارة الكتب ورواجها بين المشرق وبلاد الأندلس اهتمام الأمراء والخلفاء والميسورين من أهل الأندلس بإنشاء المكتبات العامة والخاصة في القصور والمنازل."[3]

فقد خصصوا لهذا الجانب سوقا خاصا به، كما هو موجود أسواق خاصة بالتجارة في شتي المجالات ومن أكبر وأهم أسواق الكتب هو سوق قرطبة حيث قال ابن رشد لابن زهر "ما أدي ما تقول غير أنه إذا مات العالم باشبيلية، فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع كلها."[4]

---

[1]. البشري، المرجع السابق، ص 192.

[2] المرجع نفسه، ص 194، 195.

[3]. سهى بعيون، التواصل الثقافي بين الاندلس والمشرق، كلية الأداب والفنون (مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر ثقافة التواصل)، ص11.

[4]. علي سلمان محمد، اماكن بيع وشراء الكتب في الاندلس منتدى العلماء www.msfonline.com 21 ماي 2022، 22.30،

ولبيع الكتب طريقة يقوم بها أهل الأندلس عامة والبلنسيين خاصة حيث كانت تتم "في هذه الأسواق بالمزاد، وكانت المناداة السبيل للإعلان عن بيع كتاب ما يزايد عليه الناس واحدا بعد الأخر"[1]، أي كل واحد يعطي سعر للكتاب على حسب مقدرته فمن دفع أكبر مبلغ يفوز بالكتاب.

وبهذا اجنت الحضارة الأندلسية ثمار هذا التواصل والتجارة فالكتب وانعكس ذلك على النضج العلمي واكتمال نمو الشخصية العلمية للأندلس وكون علماء نابعين.

د. **الوراقة والوراقون:** كان للأندلس اسهام كبير فعال في تطور صناعة الورق وانتقاله لسائر أنحاء أوروبا وكان يطلق على الصانعين والبائعين والمهتمين بهذا المجال وراقون فمما لاش فيه "أن هذه الفئة كان لها فضل عظيم وجهد كريم في ازدهار الحركة العلمية."[2]

كما نجد "أن مدينة بلنسية ذاع صيتها لكثرة ما أخرجته من كبار الوراقين والمشتغلين بالوراقة فكانت بقعة مركز إشعاع لهذا النشاط الحضاري الهام."[3]

- **أهم الوراقين في بلنسية:** "خلف بن عمر البلنسي (ت بعد 460هـ/ 1067م) أصله من نتشعر، وكان موصوفا بالبراعة والمهارة والدقة والضبط فيما يكتبه وينسخه، حتى دفع كثير من الناس أثمانا غالية فيما كتبه"[4].

ومن بلنسية أيضا نجد "إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مفرح الوراق من أهل بلنسية بالحصار، ويكني بأبا إسحاق (...) كان حسن الخط محترفا بالوراقة عاكفا عليها ذا اتقان

[1]. علي سلمان محمد، المرجع السابق، 21 ماي 2022، 22:45.

[2]. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر الملوك الطوائف، ص 199.

[3]. المرجع نفسه، ص 203.

[4] . المرجع نفسه، ص 203.

وضبط،"[1] وهناك من هاجر إلى بلنسية منهم " العلامة الوراق محمد بن سليمان بن سيداري الكلابي (548هـ/ 1153م) من قلعة أيوب (...)، فكان يبع الكتب في دكان له، وكان أبوه أيضا وراقا."[2]

ونجد أيضا "من كان على هذه الصفات من البراعة والإتقان في الخط ودقة النسخ أحمد بن عبد العزيز بن الفضل البلنسي"[3].

كما قد انتهى المجال بأعظم المكتبات إلى ايدي عشاق الكتب" كمكتبة ابن فطيس، مكتبة الحكم الشاقي، وبعضها كهذه الأخيرة بيع بثمن بخس دارهم معدودة، (...) وانتهي بها المطاف إلى خزائن هواة الكتب، وبخاصة في المقاطعات حيث بدات الهوية تعبر عن نفسها، مثل: اشبيلية، وألمرية، وبطليوس، وطليطلة، وسرقسطة، وبلنسية، وغيرها[4].

ثالثا: في عصر الموحدين (479هـ_ 636هـ).

إن من أهم العصور التي ازدهرت فيها الثقافة بشكل كبير لم سبق له من قبل هو عصر الموحدين وذلك الاهتمام الشديد التحصيل العلوم بشتى الطرق.

فقد كان مؤسس الدولة الموحدية الروحي المهدي بن تومرت، من أقطاب علماء عصره.

---

[1]. ابن الآبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص 130.

[2]. سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 203- 204.

[3]. المرجع نفسه، ص 203.

[4] . خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس(أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية)، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994، ص 127.

كما أن خليفته عبد بن علي (مؤسس الدولة الموحدية الحقيقي، وموطد دعائمها، كذلك كان عالما من ألمع علماء عصره، يلتف حوله العلماء (...) يبسط رعايته، ويغمرهم بصلاته وهو الذي نظم جماعة الحفاظ الموحدين، وعني بأمرهم أشد عناية"[1].

1. اهتمام المجتمع البلنسي بالعلم:

كانت مدينة بلنسية من بين المجتمعات الأكثر اهتماما وتعلقا بالثقافة والعلم معتمدة على " توجيهات القران الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما الأصلين للدين وقامت عليهما العلوم الإسلامية، فقد جاءت الآيات والأحاديث حاثة على العلم."[2]

قال لله تعالي" هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[3] كما نجد في الحديث الشريف قوله صلى لله عليه وسلم" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل لله له طريقا إلى الجنة"[4] وهذا الحديث يبين أن من يخذوا طريق العلم ويسلكه فإن لله يسير له طريقا للجنة.

لقد كان العديد من العلماء شديدين طلب العلم الدرجة السفر الأماكن بعيدة من أجله، ولم يكتفوا بطلبهم هذا على التنقل بين المدارس التعليمة في الأندلس، بل أرادوا أن يأخذوا العلم من الأماكن البعيدة، يأملون في الكمال العلمي، ويحالون أن يتتلمذوا على أكبر العلماء فقد كان" الحافظ ابن دحية، أبو الخطاب البلنسي (ت 633هـ_1235م)، من أعيان العلماء والمشاهير الفضلاء قد انتقل في طلب الحديث أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقي منها إلى الديار المصرية، إلى الشام والشرق والعراق، ودخل خراسان، كان كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم"[5].

---

[1]. محمد عبد لله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، ط 2، ق2، 646

[2]. محمد عبد الله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية، ص 21.

[3] . سورة الزمز، الآية 9.

[4]. رنا عتيق، أحاديث في طلب العلم،.www.mawdoo3.com، 26/ 05/ 2022، الساعة، 00.30.

[5]. محمد مد لله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في الأندلس، ص 21.

أن كثرة الاهتمام في طلب العلم والعسي لحصوله هو ما جعل الحياة العلمية والثقافية تتقدم بشكل كبير في بلنسية، "وهذا الاهتمام كفيل بتذليل كل المصاعب التي تعترض الحصول عليه."[1] فبفضل هذه الجهود الجبارة جعل مدينة بلنسية الأثر الجميل في ازدهارها واتساع مكانتها العلمية والثقافية.

2. الاتصال الوثيق بين الطالب والمعلم:

إن العلاقة التي تربط الطالب بمعلمه في علاقة ملازمة، وكثرة الاتصال له هي من أهم العوامل الرئيسة التي تزوده في رصيده المعرفي، فقد كان" ابن الأبار (ت 658هـ_ 1259م) على اتصال وثيق بأبي الربيع سالم الكلاعي كبير محدثي الأندلس، أكثر من عشرين عاما"[2]، إذا كان " من أخص بطانته وأقرب تلاميذه إليه."[3]

3. الأساس العلمي للدولة الموحدية وتشجيع الخلفاء الموحدين للعلماء:

كان تشجيع الخلفاء للعلماء دورا بارزا في ازدهار الثقافة ويكمن هذا التشجيع بإعطائهم الجوائز وتوفير أماكن للتعليم وتشجيعهم للتر حال من أجال الاستزادة بالعلوم، فنجد ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية قد كان مهتما بطلب العلم فقد" عرف منذ صغره بحبه للعلم وسار على المنوال الذي كان يسير عليه طلاب العلم في عصره، وقد بدأ بحفظ القران ودارسة العلوم المتوترة في بلده، ورحل بين الكثير من المدن وأخذ من علماءها، واستمرت رحلته العلمية سنة 15 سنة"[4] كما نجد" أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم البلنسي (...)، كان المتكلم على الملوك في مجالسهم والمبين لما يريدونه على المبني في

[1] محمد مد لله الهروط، المرجع السابق، 21.

[2]. المرجع نفسه، ص 24.

[3] ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص 9.

[4] محمد مد لله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في الأندلس، ص 24.

المعاقل ولى خطابه بلنسية وله تصانيف في عدة فنون"[1] كما كان "فردا في إنشاء الرسائل مجيدا وفي النظم مفهوما مدركا حسن السرد والمساق."[2]

4. نشوء بعض العلماء في جو علمي مثقف:

لقد نشأ العديد من العلماء في جو علمي بحت وذلك إلى عائلته هناك من ولد في عائلة مثقفة مهتمة بالعلم أو كان أبوه في حد ذاته عالما مثال ذلك ابن الآبار الذي قال: "أن والده كان علماء بلنسية، وله علاقات وصلات عملية بعدد من العلماء في الأندلس عموما، وشرقها خصوصا، فقد اهتم الوالد بتوجيه ولده محمد الذي كان فيما يبدوا ولده الوحيد، وحرصا على أن يوفر كل الظروف والفرض للحصول على العلم."[3] فنرى بأن هذه الظروف بمثلث من المفروض في أنه يصطحبه معه إلى المسجد والمجالس الطلب العلم وزيارة العلماء والأخذ منهم والاستماع لما يقرؤونه.

وكما نذكر مثالا عن ذلك ابن بشكوال البلنسي "هو أبو القاسم خلف بن عبد الله للملك بن مسعود بن موسي بن شكوال بن يوسف بن داحة الأنصاري القرطبي محدث الأندلس وحافظها في عصره مؤرخها ومسندها"[4]، وكانت بداية حياته العلمية " منذ نعومة أظافره كان والده من رجال الحديث ورواته، ولا شك أن وجوده في البيئة العلمية خليق بأن يحزب انتباه الابن وكان طبيعيا أن يكون تلميذا لأبيه ومن رواته[5].

---

[1]. أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس الأزهر، د. ط، 1351، ج5، ص 164.

[2]. المصدر نفسه، ص 164.

[3]. محمد مد الله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في الأندلس، ص 24- 25.

[4]. أبو القاسم خلف بن عبد للمك بن مسعود بن بشكوال، كتاب الصلة لابن بشكوال ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن ابراهيم الغرناطي، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافية الدينية ، مصر- القاهرة، د. ط، 2008، م1، ص 18.

[5]. محمد مد الله الهروط، الحياة العلمية والقافية في الأندلس، ص 25.

5. بروز عدد من العلماء الراسخين في العلم مما جعلهم محط أنظار الطلبة:

إن شهرة العلماء والنوابغ تعمل على ازدهار الحياة العلمية، وبهذا ينجذب الطلاب لهم للأخذ منهم والاستماع لنصائحهم وإرشاداتهم ونشر العلم إلى طلبه آخرين فهذا "محمد بن أيوب بن محمد بن ذهب بن محمد بن نوح القاضي أبو عبد الله الغافقي البلنسي (...) كان جم الفضائل، لم يكن في زمانه يشرق الأندلس له نظير تفننا واستبحارا، كان من الراسخين في العلم صدرا في المشاورين"[1]، فنجده قد تتلمذ على يديه العديد من الطلبة وذلك لما عرف به من علم وفقه وأدب، مما جعله محل نظر الطلاب من أجل الاستفادة من علومه

المطلب الثاني: التعليم والمؤسسات التعليمية المؤثرة في بلنسية.

لقد لعبت المؤسسات التعليمة ونظم التعليم الدور الهام في تطور الحضارة في بلنسية.

أولا: بداية من عصر الفتح الإسلامي إلى نهاية ملوك الطوائف (94هـ_ 479هـ).

كان العلم منتشر في بلنسية انتشارا تفقره كثير من البلدان المعاصرة لنا، ولها حظ في التعليم.

1. نظام التعليم في بلنسية:

لقد اتفق معظم العلماء على أن أفضل نظم التعليم عند المسلمين من القديم هو "القران الكريم والسنة المطهرة، ولهذا لا نعجب إذا رأينا الأندلسيين قد أعطوا لهذا الجانب الإهتمام وغاية بالعين، فقد كان هو صلب التعليم الأولي ويضيفون إليه تعلم اللغة العربية، ودراسة الأدب والشعر مع العناية بالخط والكتابة."[2]

[1]. شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، معرفة القراء الكبار على للطبقات والإعصار، تحقيق: طيار آلتي قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، اسطنبول، د. ط، 1995م، م1، ص 1155.

[2]. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 210.

وذلك لما لهذا النظام من أثر في صقل مواهب المتعليق وتقوية ملكتهم الأدبية.

أ. **مراحل التعليم:** كان التعليم عموما في هذه الفترة يمر بثلاث مراحل مهمة فبدايتها "يحفظ فيها التلميذ القران الكريم، والقراءة وبعض العلوم الأخرى، والثانية يتلقى فيها دروسه وعلومه بشكل أوسع، حيث أصبح بمقدوره تلقي شروح القران والقراءة، وشرح الحديث (...) والثالثة يتجه فيها التلميذ إلى التركيز على ما يميل له من علم"[1].

ب. **طرق التعليم:** اعتمدت الأندلس طرقا عديد للتدريس منها الإسماع، الإملاء المعاودة الحفظ، المناظرة...الخ واختلافها يعود للعلم إذا لكل أستاذ طريقته الخاصة.

- **الإسماع أو التلقين:** الإسماع هي مشتقة من الفعل الثلاثي "سمع السمع: حس الأذن وفي التنزيل: "أو ألقي السمع وهو شهيد" (...) وسمعه الخبر وأسمعه إياه"[2]، "فالإسماع هو إلقاء الكلام التسميع الغير لذا فميزة هذه الطريقة أنها مؤمنة من الخطأ، ويعد الإسماع من أهم الطرق شائعة الاستخدام في التعليم"[3].

فقد اعتمد التعلم بصفة عامة طريقة الرواية نظرا الطبيعة العقل البشري، وقدرته الفائقة على الحفظ

- **الإملاء:** تستخدم هذه الطريقة في التعليم وذلك لعدم توفر النسخ كثيرة من الكتاب لذا يضطر المعلم أن يلقي على تلاميذه ما جاء فيه ليقوموهم بدورهم في التدوين.

فالإملاء هو أن يتخذا المعلم مجلسا" فيجلس الأستاذ على الأرض كالآخرين(...) وقد يفضل أن يواجه الطلاب، وأن يسند ظهره إلى الجدار أو عمود، والتلاميذ في أكمل استعداد،

---

[1]. سعد بن عبد الله البشري، المرجع السابق، ص 213.

[2]. ابن منظور، لسان العرب، مادة(سمع)، ج1، ص2095.

[3]. بن حاج ميلود، أصول التربية والتعليم في الأندلس من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف،رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة ابن خلدون، تيارت، د. ت، ص 114.

محابرهم إمامهم، فيها القلم والدواة يكتبون ما يملي عليهم في كل كراسات سندوها على ركبهم"[1]، كانت الطرق جد بسيطة في التعليم حيث كان يبدأ الأستاذ في إلقاء درسه "بالبسملة، والصلاة والسلام على الرسول لله صلى لله عليه وسلم، ثم يقر الدرس، وإذا فرع منه يختم الحلقة بقراءة الفاتحة، ثم يعين الطلابة موضوع الدرس القادم."[2]

- **المناظرة:** يعرفه "معجم المعاني الجامع: مناظرة: مصدر ناظر ومناظرة علمية محاورة جدال ندوة التبادل الراى وتحديد طبيعة المشاكل"[3].

في طريقة من طرق التعليم "فيها يطرح العالم مسألة من مسائل العلم أو حديثا من الأحاديث، ثم يلقي الأسئلة حول ذلك الموضوع"[4]، وعند آخرين تعني "النظر والتعمق في المسائل والتفقه أكثر"[5].

- **الإجازة:** يعرف الإيجاز "في معجم معاني الجامع، إجازة اختراع شهادة يعطيها المخترع تثبت حقه وأسبقيته في الاختراع الذي سجله."[6]

للإجازة معاني كثيرة في قواميس اللغة لكن المقصود بها هنا "تلك الشهادة التي يمنحها العالم للطالب، وتعبر تلك الشهادة مات لقاه الطالب على يد المعلم في علم من العلوم"[7]، لكن مع الوقت ذهب جزء من قيمتها لهذا لم يرتضها كثير من العلماء" فألف أبو العباس وليد بن بكر السرقسطي(392هـ_ 1000م)، كتابا سماه الوجازة في صحة القول بالإجازة، وضمن

---

[1]. خوليان ريبيرا، التربية الاسلامية، ص110.

[2]. بن حاج ميلود، اصول التربية والتعليم في الاندلس، ص115.

[3]. كاتب مجهول، معجم المعاني الجامع،www.almaany.com، 22 ماي 2022، ص 23- 27.

[4]. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص214

[5]. بن حاج ميلود، أصول التربية و التعليم في الأندلس، ص117

[6]. كاتب مجهول، المعاني الجامع،www. Almaany.com، 22 ماي، 2022، 23.50.

[7]. بن حاج مليود، أُصول التربية والتعليم في الأندلس، ص 118.

كتابه المذكور إشارات واضحة إلى بعض الإجازات الفاسدة التي لا يركز عليها ولا يلتفت إليها."[1]

2. أماكن التعليم:

لم تكن هناك مراكز للتعليم بعينها في هذه الفترة لكن كان "المسجد عند المسلمين يمثل المراكز العلمي الذي يتلقون فيه العلوم والمعارف على أيدي العلماء، ولم تكن لهم مدارس خاصة بالتعليم التدريس"[2]، فهناك الكثير من المساجد التي عنيت بتصرف بالتدريس في الأندلس "ففي جامع قرطبة كانت تعقد مجالس العلم المشهورة (...)، ولم يكن وحده يؤدي رسالته العلمية، بل كان يشاركه في ذلك بقية الجوامع المختلفة في مختلف المدن الأندلسية الأخرى ودانية، وغرناطة، وسرقسطة، وبلنسية"[3].

وإلى جانب المساجد ظهرت مكاتب كتعليم الأطفال وتربيتهم "فالمكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال، ويكون مهيأ بطبيعة الحال لتقلي العلم والتربية السليمة من قبل المدرسين"[4]، لكن لم يقتصر التعليم فقط على المساجد والمكان بل "تسرب ذلك النشاط إلى كثير من المواضع سواء في المنازل أو بعض الحوانيت، أو في بستان من البساتين أو غير ذلك من الأماكن"[5].

---

[1]. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 219.

[2]. سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص 138.

[3]. ينظر: سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 223.

[4]. المرجع نفسه، ص224.

[5]. المرجع نفسه، ص225.

3. المرأة والتعليم:

لم تكن للإسلام أي تحفظات في ما يتصل بتعليم المرأة ففي الأندلس كانوا يبعثون بالفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر، لكي تتعلمن نفس المادة التي تدرس للصبيان، وبعضهن فيما بعد كن يواصلن التعليم العالي، ويحصلن على نفس الإجازات التي يحصل عليها الرجال عادة،"[1] فلم تكن المرأة الأندلسية بمنأى عن الساحة النشاط العلمي في المجتمع الأندلسي،" فنج من أشهر المعلمات النساء العروضية مولاة عبد الرحمان ابن غلبون (ت 450هـ_1058م)، من بلنسية وكانت قد أخذت علومها عن مولاها و برعت في النحو و اللغة و العروض."[2]

4. اهتمام الخلفاء بالحركة العلمية:

كان للخلافاء أثر في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس كما أن عصر الخلافة الأموية في الأندلس يمثل الانطلاقة الواسعة في ميادين الحضارة والبناء الفكري"، سعى الخلفاء إلى تأمين وسائل التعليم لأفراد شعبهم الأندلسي، وكان عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر عهدا زاهرا شهد المجتمع الأندلسي فيه نهضة واسعة في ميدان العلم"[3].

وبالإضافة إلى هذا" أمد الحكم جامعة قرطبة بكل ما تتطلبه من إمكانيات بشرية ومالية وعين لها أخاه المنذر عميدا، ثم أخذ هو بنفسه يقضي جل أوقاته بين أبهائها وأروقتها يطالع ويقرأ."[4]

---

[1]. خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية، ص130.

[2]. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص226.

[3]. سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص146

[4]. المرجع نفسه، ص139.

والجدير بذكر أن الخلفاء لعبوا دورا كبيرا وهاما في رفع المستوى التعليمي فكانت لهم" جهودا مثمرة في هذا الميدان."[1]

فكان حبهم للعلم واهتمامهم به واقتنائهم للكتب وقيامهم بالمناظرات مع العلماء والمنافسات في الشعر وتدعيمهم للشعراء والكتب وذلك بتشجيعهم عن طريق تقريبهم إليهم وتقديم لهم العديد من الجوائز على حسب أعمالهم كما كانوا يصرفون مبالغا على دور العلم المتمثلة في المساجد والمكاتب لتحفيز الطلاب على العلم والمعرفة.

ثانيا: عصر الموحدين (479هـ- 636هـ).

اهتم الأندلسيون بالعلم و التعليم فأخذوا يقلبون على الكتاتيب ة دور العلم في تربية أبنائهم وتعليمهم منذ نعومة أظافرهم، ولم يكن التعليم عندهم مقصورا على الذكور بل شمل الإناث أيضا، وتدرجوا في المراحل التعليمية ووضعوا المناهج الخاصة بها.

1. مرحلة التعليم:

مرّ التعليم في بلنسية بعدة مراحل هي:

أ. **مرحلة المكتب والكتاب:** هو "موضع الكتاب، والمكتب والكتاب: موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والمكاتب"[2] فالمكتبة هي المكان الذي يزخر بمجموعة كبيرة من الكتب يقصدها الجميع للاطلاع والاقتناء.

"وكانت مكتبات المساجد تمتلئ بالكتب الغالية، للجهد الكبير الذي بذل في نسخها بخط جميل، أو لروعة تجليدها، وبالمصاحف، وكتب الأوعية، والفقه، وعلم الكلام، وكلها تمثل

[1]. البشري، المرجع السابق، ص143.

[2]. كاتب مجهول، معجم لسان العرب لابن منظور ،www.wiki.dorar_aniraq.com، 21، 2022، 14.20.

المحور الرئيسي في المكتبة[1]. "كما لعبت هذه الكتاتيب دورا هاما في "تعليم الصبيان في المرحلة الأولى"[2]، حيث "اعتني الأندلسيون بتعلم أنفسهم وأبنائهم وحرصوا على مكافحة الجهل والتخلف"[3]، إلا أنه لا يمكن تقدير عدد الصبيان في المكتب الواحد ببلنسية والاندلس عموما"[4]، وهذا بدل على كثرة طلاب العلم وحبهم للاستكشاف والقراءة,

ب. مناهج التعليم في الكتاب: إن مناهج التعليم تعتبر شرط اساسي على كل طالب علم أن يتبعه، فهو الطريق الذي يتعلم منه الصبيان في بدايتهم الهجاء والقراءة والكتابة من خلال القران الكريم ثم "رواية الشعر في حياة، وحفظ بعض قواعد اللغة العربية وتعلم تجويد الخط والقران"[5]، بهذا فإن التعليم في سن مبكرة في حياة الطفل يعمل على شكل ونمو فكره

أما من ناحية العلماء الذين تلقوا الدروس في المكتب من بينهم "ابراهيم بن محمد بن ابراهيم المغربي من أهل بلنسية ولأصله من تسنتمرية (....) يكني ابا اسحاق أخذ عن ابي الحسن بن هذيل واختص به وسمع من الكثير كان يخلفه على التعليم في مغبيه ويعلم ايضا بمحضره."[6]

---

[1]. خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الاندلس، ص 128,

[2]. بن حاج مليود، أصول التربية والتعليم في الاندلس، ص 107,

[3]. المرجع نفسه، ص 106,

[4]. محمد مد لله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في الاندلس، ص 28.

[5]. محمد يعلى، ندوة الحضارة الاسلامية في الاندلس ومظاهر التسامح،.www.anda lusite. Com، 22/ 4/ 2022، 10:40.

[6]. ابن الأبّار التكملة لكتاب الصلة، ص 130.

وكذلك "أبو بكر يحي بن عبد الرحمان بن خلف المكتب (ت 570ه_ 1174م) الذي كان معلم بالقران واماما في صلاة الفريضة بمسجد حميد في بلنسية." [1]

ج. المرحلة المتوسطة (مرحلة المسجد): لقد كانت المساجد "مكانا لتدريس العلوم جميعا وبمثل التعليم في المسجد المرحلة المتوسطة (الثانية) من مراحل الدارسة"[2] أي بعد ان يقضي الأول مرحلة التعليم في الكتب.

ويكون سن الطالب من أجل الدخول في هذه المرحلة" ما بين الثانية عشرة والخامسة عشرة، ولا يمنع ذلك من أن يبدا البعض قبل هذا السن."[3]

وأما عن المنهج الذي كان يدرس ببلنسية بهذه المرحلة "فهو غير محدد والشيخ وحده هو الذي يقو باختيار التخصص الذي يريد تدرسيه والكتب التي يعتمدها لتدريسه."[4]

د. مرحلة الدراسة العليا (التخصص): أما هذه المرحلة فتكون بدايتها بعد أن ينتهي التلميذ من دارسة كافة المبادئ الاساسية للعلوم في المسجد، وكما قال خوليان ريسيرا "يمكن ان نقول أن التعليم العالي كل ما تجاوز المواد المقرر دارستها في التعليم الابتدائي"[5].

وتمثل هذه المرحلة في الرحلة لطلب العلم، والاستزادة منه حيث لا يكتفي الطالب بالعلم الذي أخذه من علماء مدينته (....)، وعادة ما يكون هذه الرحلة داخلية وخارجية"[6].

---

[1]. محمد مد لله الهروط ،الحياة العلمية في الاندلس، ص 29.

[2]. محمد مد الله، المرجع السابق، ص 29

[3]. المرجع نفسه، ص 30.

[4]. المرجع نفسه. ص 31.

[5]. خوليان ريبيرا، التربية الاسلامية في الاندلس، ص 41.

[6]. محمد مد لله الهروط، الحياة العلمية والثقافية في الاندلس، ص 32.

2. مراكز التعليم:

كانت بلنسية تزخر بالعديد من مراكز التعليم نوجزها فيما يلي:

أ. **المسجد:** إن المساجد في هذا العصر كانت عبارة عن "مدرسة علمية تقام فيه حلقات الدروس في علوم الدين واللغة، وكانت الأسواق تقام حول ساحته، وتعقد فيه ايضا الاجتماعات وتوزع فيه الوية الجيش وبنوده وتقرا فيه المنشورات"[1].

من الذين درسوا بالمساجد الجامع في بلنسية" أحمد بن أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن سعيد بن جزى من أهل بلنسية (....)، وغلب عليه علم الفرائض والحساب فقعد للتعليم بذلك بجامع بلنسية وكان ثقة صدوقا حسن الخط."[2]

ب. **منازل العلماء:** كانت عبارة عن مركز من مراكز التعليم التي ساهمت بنصيب كبير في الحركة التعلمية وقد أدور ابن الابار اشارة في ترجمه الأستاذة "الحسين بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن فتوح الانصاري الضرير من أهل بلنسية (...) فأخذ عنه الناس وكان حسن الالقاء والاداء معروفا بالتحقيق والتجويد"[3].

ج. **الحدائق والبساتين:** تعتبر بلنسية من أجمل مدن الاندلس حيث" خصها بأحسن مكان وحفها بالأنهار والجنان، فلا ترى المياه تتفرع، ولا تسمع غلا أطيارا شجع، وجودها مقيل أبدا"[4] فقد حرص البلنسيون على قضاء أوقات فراغهم فيها، "كما كان الطلاب إذا جزوا عن الوصول إلى المعلم في بيته لسبب أو لأخر توجهوا إليه في منطقة عمله"[5]، ومن العلماء الذين كان يذهب إليهم الطلاب في اماكن عملهم نجد منهم " أبو الحسن

---

[1]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية في العصر الاسامي، ص 205.

[2]. اين الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، ص 77.

[3]. مصدر نفسه، ص 223.

[4]. كاتب مجهول، بلنسية بستان الاندلس المفقود،www. Islamstomy.com، 04/23/ 2022، 23:11.

[5]. محمد مد لله الهروط، الحياة العلمية والثقافية، ص 42.

علي بن هذيل البلسني (ت 564هـ_ 1168م) وكان متى توجه إلى ضعيته في غربي بلنسية لبعض أوقات فراغه صحبة طلبة العلم غليها للقراءة عليه والسماع منه"[1].

د. **الدكاكين:** إن الدكاكين تعد من أهم المراكز التعليم، "فقد تسابق طلاب العلم إلى اصحابها ليأخذوا العلم عنهم وليلتقوا بعلماء اخرين لأخر الافادة والاستفادة ومن العلماء الذين كامو يدرسون في دكانهم"[2] على بن هلال بن علي بن حسن بن عبد الاعلى بن هلال الخضرمي بلنسي نزل سبته، (...) وكان عدديا ماهرا مهندسا حاذقا طبيبا بارعا (...) شرس الخلق عن التعليم متعززا على المتعلمين لا يتلمذ له أحد عز أوهان إلا واقفا أسفل دكانه الذي تصدى فيه للفتاوي الطبية"[3].

ه. **حوانيت الوراقين:** تعد من أهم مراكز التعليم وهي الأماكن الخاصة ببيع الكتب حيث أنها " كانت تبع الكتب الهامة، كما الوراقون يقومون بنسخ الكتب الهامة فيها."[4] أي أنها كانت بمثابة المكتبة التي يذهب إليها الناس الاطلاع واقتناء الكتب.

ومن العلماء الذين احترفوا هذه المهنة " من بلنسية محمد بن علي بن عطة (ت حدود 540هـ/ 1145م)، كان أنيق الوراقة رائقها وتوارث الناس التنافس فيما كتب إلى اليوم، وكم حام الكثير من الوراقين على سلوك طريقته فلم يدركوها"[5].

---

[1]. محمد مد لله الهروط، المرجع السابق، ص 43.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

[3] عبد الملك المراكشي، السفر الخامس الذيل التكملة لكتابة الموصول والصلة ، تحقيق: احسان عباس دار الثقافيه، لبنان– بيروت، د.ط، 1965،ق 1، ص 419.

[4]. محمد منير مرسي، التربية الاسلامية اصولها وتطورها في البلاد العربية،www.maktaba.com، 24/ 04/ 2022، 00:44.

[5]. سعد بن عبد لله البشري، الحياة العملية في عصر ملوك الطوائف في الاندلس، ص 203.

المبحث الثالث: المظاهر الحضارية في بلنسية.

تعددت العوامل التي أدّت لازدهار الحضارة في بلنسية من الناحية الاجتماعية العمرانية فمن بينها نجد الفتوحات التي ساعدت على تعدد الأجناس والديانات وحتى عدد السكان.

المطلب الأول: المراكز العمرانية في بلنسية.

امتازت بلنسية في كل العصور بالعمران فهو من أهم الفنون التي حظيت باهتمام كبير بحيث" لقي فن العمارة(...) لدى المرابطين قبولا وتشجيعا بيد أنه لم يصل في ظلهم إلى ما وصل إليه في عهد اسلافهم، أو عهد اخلافهم الموحدين، فعني ملوك المرابطين بالأخص بإنشاء المساجد العديدة ذات الابراج العالية."[1]

أما عهد الموحدين أيضا اهتموا بالحضارة لكن اهتمامهم يختلف نوعا ما على ما اهتم به المرابطين فقد صبوا جل اهتمامهم" بالعلوم والفنون(...) فازدهرت الزراعة والتجارة، وتقدمت زراعة الفاكهة، وكانت تزرع في ولايتي بلنسية واشبيلية، (...) وبالقرب منها نحو مائة الف معصرة لاستخراج الزيت، وكان الترع تخترق جميع أنحاء ولاية بلنسية وتروى اراضيها، وكانت تقوم إلى جانب مصانع السلاح العديدة مصانع مختلفة."[2]

كما اهتموا وبرعوا في بناء المراكز الثقافية بحيث " شكلت منارات اشعاع معرفي، ووجهة مفضلة لدى الادباء والعلماء ويشدون رحالهم غليها من مختلف الجهات، ومن

[1]. يوسف اشباخ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص 251.

[2]. المرجع نفسه، ص 252.

المراكز التي لا يجوز اغفال ذكرها في تلك الفترة، قرطبة وشرشير ومالقة، وغرناطة وبلنسية، ومرسية."[1]

إن الطبيعة الساحرة في بلنسية ألهمت شعرائها، وحركت خاليهم "فصفاتها من أحس متفرجات الارضي،(...) فبع في هذه المدينة العديد من العلماء، وحظيت بالكثير من الشعراء والكتاب والمؤرخين، فمن شعراءها في القرن السابع الهجري ابن الابار وأبو الربيع سليمان الكلاعي والرحالة ابن جبير."[2]

إن اهم المباني التي عني بها في العهد المرابطين رغم أنه كان من اقل العصور التي تطورت فيها العمارة" انشاء الاسوار القوية حول المدن والقلاع المنيعة القصبان والقصور الشاسعة، وكانوا يراعون في جميع منشاتهم العناصر الضرورية قبل عناصر النخامة والجمال، ومع ذلك أنشاؤا ابنتيه من المرمر ذات حدائق غناء."[3]

كما قد "اصبحت بلنسية في العهد الاسلامي مدينة كبيرة مسورة بسور متين مبني بالحجر والطوابي، عليه عدة ابراج دفاعية، وفيه ثمانية ابواب، وضمت المدينة مسجدا جامعا ودارا للأمارة، وعددا من الاسواق المزدهرة، بالإضافة إلى الارباض ولأحياء."[4]

كما نجد" لها منارة ومسارح، ومن ابداعها وأشهرها الرصافة ومدينة ابن ابي عامر."[5]

ومن أهم المراكز العمرانية التي شيدت في مدينة بلنسية هي:

---

[1] حميد طريفة، ابن الابار القضاعي، ومدائحه في البلاط الحفصي، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010م، ص 34.

[2] .حميد طريقة، المرجع السابق، ص 37.

[3]. يوسف اشباخ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص 251.

[4]. حتاملة، موسوعة الديار الاندلس، ص 305.

[5]. أحمد محمد المقري، التلمساني، نفح الطيب، ج 1، ص 179.

1. الأحياء والأرباض:

أن من بين أهم المراكز العمرانية نجد الاحياء والارباض" قال أبو المنصور: الربض فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء، (....) وقال بعضهم: هما الفتان، الارابض كثيرة جدا وقل ما تخلوا مدينة من ربص والاحياء"[1] " في اصطلاح أهل الاندلس بالحومات، وهي مراكز عمرانية تدخل في نطاق اسوار المدينة."[2]

أ. **الأحياء:** أهمها: "مي ابن جحاف يمتد في نواحي المسجد الجامع الكاتدرائية حاليا، وايضا من احياء هذه المدينة حي اليهود وفقد كان اليهود يمارسون في بلنسية نشاط اقتصاديا واسع النطاق، وقد كانت احياءهم متصفة بالعزلة ولم يدخل واحد، فتخطيطهم العام يتشابه مع احياء المدينة."[3]

ومن بين الاحياء الموجودة في بلنسية نجد حومة باب الجنش[4] قال عنها ابن الزقاق في ديوانه:

ليس فرق في السن بينهما والها ان طلعا في غبش

غير ان الافق معمور بذا وبذا حومه الحنش[5]

---

[1]. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 25.

[2]. ابو مصطفي، تاريخ مدينة بلنسية، ص 200.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص 200– 201.

[4]. باب الحنش: "وهو احد ابواب بلنسية"، ابن الزقاق، ديوان ابن الزقاق، تحقيق، عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، لبنان– بيروت، د. ط، 1964، ص195.

[5].المصدر نفسه، ص 195.

واخر حي معروف في بلنسية هو " حي الشريعة احد الاحياء الهامة في بلنسية، (...) ويقع داخل الاسواق على مقربة من الباب المعروف بنفس الاسم."[1]

ب. الأرباض: تطلق كلمة الارباض" على الاحياء المتطرفة، أو على كل حي يقع بعيدا عن المركز (.....)، مثال ربض ابن عطوش الواقع بدخل بلنسية، ويمكن تعليل تسميته ربضا مع وقوعه داخل المدينة بان هذا الربض كان يقع في البداية خارج السور ولكنه اعتبر حومة بعد ان اتسع العمران فيها وخاصة خارج السور."[2]

فنجد قد حافظ على سمية رغم انه اصبح داخل المدينة فاصبح بمرور الزمن يعد حيا، " والملاحظة ان اسماء الارباض في بلنسية لم يرد لها ذكر في مصادر الاسلامية، وقد اشارت اليها المصادر المسحية فحسب."[3]

أهم الارباض الواقعة خارج سور بلنسية.

- **ربض الكدية:** الكدية هي "الارض المرتفعة: وقيل هو شيء صلب من الحجارة والطين"[4]، فنجد هنا ان اسم الربض يتطابق مع طبيعة الارض التي يشغلها" ويقع شمال المدينة منحرفا إلى الغرب قليلا، على الضفة اليسرى من الوادي الابيض، وقد سكنه المسلمون الذين غصب عليهم السيد القنبيطو عتب استلائه على المدينة."[5]

---

[1]. أبو مصطفي، تاريخ مدينة بلنسية، ص 201.

[2]. المرجع نفسه، ص 201.

[3]. المرجع نفسه، ص 202.

[4]. ابن المنظور، لسان العرب، ص 3838.

[5]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص 202.

- **ربض منية ابن عبد العزيز:** يقع "شمال المدينة على الضفة اليسرى من النهر والتي إلى الشرق من ربض الكدية، واشتهر بمنية نسب اليها هي منية ابن عبد العزيز او منية المنصور، وتشتمل على قصر نزل فيه قبيل دخوله بلنسية."[1]
- **ريض الرصافة:** ونعني ايضا بالربض: يقال" وريض الشخص بالمكان اي اقام ملازما له، وهو ما حول المدينة والقصر من مساكن ودكاكين."[2]

حيث نجد هذا الربض يقع " غلى الجنوب الشرقي من بلنسية، وسمي لهذا الاسم تقليدا الرصافة قرطبة، وقد سكنه المستعربون خاصة في القرن الخامس هجري."[3]

- **ريض المصلي(الشريعة):** حيث نجده ينسب" إلى الباب الشرقي للمدينة المعروف بباب الشريعة نسبة إلى مصلى للأعياد كان قائما خارج هذا الباب."[4]

2. بلنسية وبعض قراها:

هناك العديد من القرى التي بها وقائع واحداث ادت إلى تميزها عن باقي القرى فهمنم:

قريت المنصف: فنجد "من اعمال بلنسية قرية المنصف الفقيه الزاهد ابو عبد الله المنصفي."[5]

---

[1]. ابو مصطفى، المرجع السابق، ص 202.

[2]. عبد الحميد شافع، البنية التحتية للمدن الاسلامية في الاندلس(مدينة قرطبة انموذجا، دارسة تاريخية)، الدوريات المصرية،www.journals ekb.eg، 22، ماي 2022، 1:15.

[3] أبو مصطفي، تاريخ مدينة بلنسية، ص 203.

[4]. المرجع نفسه، ص 202.

[5]. أحمد محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، ج 1، ص 181.

أ. **قرية بطرية:** ومن عمل بلنسية قرية بطرية التي كانت فيها الواقعية المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحاق بن معلي

لسبوا الحديد إلى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم الوانا

ما كان اقبلهم واحسنكم بها لو لم يكن بيطرنة ماكانا.[1]

ب. قرية متطية: وهي من أهم القرى التي " نسب اليها مجموعة من العلماء والادباء."[2]

ج. مدينة أندة: وهي " مدينة من كور بلنسية"[3] ويوجد في "جلبها معد الحديد."[4]

3. المراكز الاجتماعية:

أ. **القصور:** لقد كانت القصور في ذلك الوقت تتميز بطابعها الخاص المعروف بالزخرفة وحسن البنيان "واغلب الظن أن قصر الامارة في بالنسية كان قائما على مقربة من المسجد الجامع ونستدل على ذلك من الدراسة التي عقدها المؤرخ الاسباني متندت بيدال نقل عنخه المستشرق الفرنسي ليفى بروفنسيال الخريطة التي يظهر فيها القصر بإزاء المسجد الجامع الكاتدرائية."[5]

كما أنه كان " مسور بسور حصين وأنه كان مزودا بأبراج ضخمة"[6]، والقصور عامة عامة كانت تشبه بعضها البعض من ناحية طريقة البنيان" وعلى هذا فأن قصر الامارة في بلنسية يشبه نظيره بإشبيلية"[7]، وغيرها من القصور المجاورة.

---

[1]. المقري، المصدر السابق، ص 181,

[2]. المصدر نفسه، ص 181.

[3]. الحميري، الروض المعطار، ط2، ص 21.

[4]. المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 182.

[5]. كمال اليسد ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص 209.

[6]. المرجع نفسه، ص 210.

[7]. المرجع نفسه، ص 210.

وقد ظهرت انواع كثيرة من القصور التي بناها الامراء في بلنسية منها " قصر المنصور عبد العزيز بن أبي عامر الذي شيده في مدينة الموسومة باسمه وعرفت بلنسية القصور أو منية ابن عبد العزيز في شمال بلنسية"[1]، بالإضافة أيضا إلى" القصر الذي اسسه الوزير أبو بكر بن عبد العزيز، وقصر ابن ظاهر المجاور له."[2]

ب. الحمامات: إن الحمامات من أهم المنشآت في المركز العمراني في المدينة الاسلامية، وقد تميزت مدن الاندلس بتعدد الحمامات فمثلا نجد في شارع اليهود في بلنسية حمام خاص به" بحيث يمكننا القول بأن دور الحمام في الاهمية المعمارية يأتي مباشرة بعد المسجد الجامع."[3]

وذلك لما من أهمية بالغة فيه وقد " كان من اسباب تعلق اهل الاندلس بالاستحمام، بالضافة للشعور النفسي الذي يحدثه بخار الماء الساخن وما يتبعه من تدليك، أن الحمام كان مركز للاجتماعات المرحة ومجلس اللهو والغناء، ثم ان النساء يجدن في الذهاب إليه فرصة للتسيرية عنهن وتغيير الجو، والتمتع بحرية نسبية."[4]

ومع هذه الفائدة، كل إلا أنه هناك اغراض أخرى لبناء الحمامات وهو غرض " ديني اذا انه يظهر جسد المرأة مما علق به من دنس وهذا يفسر كثرة الحمامات بالقرب من المساجد"،[5] ولقد تبقي في اسبانيا عدد كبير من الحمامات الاسلامية في بلنسية.

---

[1]. ابو مصطفى، المرجع السابق، ص 211.

[2] المرجع نفسه، ص 214.

[3]. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الاسلامي في الاندلس، ص 208.

[4]. المرجع نفسه، ص 209.

[5]. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، 214.

وغيرها ويرجع هذا " إلى ضخامة جدرانها وصلابتها إلى وظيفتها النفعية الدينية، وان كانت تتعلق بطهارة الابدان عند المسلمين ولذا كانت اقل المنشأة الاسلامية تعرضا التخريب."[1]

ولقد كان حمام بلنسية من أهم الحمامات والذي بني اندالك في اليهود فنجده" اكمل هذه الحمامات جميعا، ويسمي اليوم حمام الميزاتي ، ولقد تهدمت منه روهة المدخل، وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطاني."[2]

كما نجد أنها " تعلوا الفراغ المركزي لهذا البيت قبة مثمنة تقوم على جوفات مقوسة، وحول هذا الفراغ اربعة ممرات تطل على الوسط القاعة لعقود على شكل حدوة الفرس قائمة على اعمدة من الرخام الوردي بتيجانها الملساء."[3]

وأيضا تعلوا هذه الممرات نصف اسطوانية تتخللها وتتخلل القبة الوسطي مضاوا نجمية الشكل."[4]

وما لها من أهمية وجمال ونفع، نجد هناك من الشعراء البلنسيين تغنوا بها منهم البلنسي عبد العزيز بن أحمد القيسي:

ومنزل اقوام إذا ما لتقوا تشابه فيه وغده ورئيسه

يخالط فيه المرء غير خليطه ويضحي عدو المرء هو جليس

ينفس كربي ان تزيد كروبه ويونس قلب ان يقل أييسه

---

[1]. ينظر، ابو مصطفى، المرجع السابق، ص 215.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، ص 215.

[3]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص 216.

[4] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، ص 215.

إذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت علك به أقماره وشموله.[1]

4. المراكز الدينية:

تعتبر المساجد من أعظم أثار المسلمين ببلنسية، المركز الاهم للتعبد فقد حظيت المساجد عامة بكم كبير من الاهتمام، كونها كانت تعتبر من أبرز الاماكن التي كانوا يقصدونها من أجل طلب العلم، وأهم المساجد المسجد الجامع فهو من اساسيات المجتمع الديني والتعليمي.

أ. **المسجد الجامع:** أن المسجد الجامع هو من أكبر وأهم "المنشآت العامة في المدينة الاسلامية لماله من دور اساسي في حياة مجتمعها، فالإضافة إلى وظيفته الدينية كان مركز البحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية"[2]، فهو الركيزة التي يرتكز عليها المجتمع الإسلامي كما يتميز هذا الجامع" باشتماله على تسعة أروقة تسمى في بلاد المغرب بلاطات عمودية على جدار القبلة الرواق الاوسط أكثر اتساعها وأرتفاعها، وتتألف الأروقة من صفوف متوازية من أحد عشر قوسا، على حدوة الفرس"[3]، كما كانوا يلقون الخطب في منابره" ففي المسجد استقبل الرسول عليه السلام سفراء الدول التنظيم علاقاته بدولهم، وفيه كان جماعة المسلمين وينظم شؤونهم، ويعلهم أمور دينهم."[4]

وكذلك "أغلب أن جامع بلنسية كان يقع في وسط المدينة على مقربة من قصر الإمارة، والظاهر أن أقيم مكان كنيسة قرطبة قديمة حولها المسلمون بعد الفتح إلى مسجد

---

[1]. الثعالبي، يتمية الدهر، www.chiaonlindr.com، 23 ماي 2022م، 8:53.

[2]. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، م1990، ص 210.

[3]. عبد العزير سالم، تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، ص 162.

[4]. عبد الستار، المدينة الاسلامية، ص 210.

جامع"[1]، وبهذا فإن "المسجد الجامع كان يؤلف المركز الديني للمدينة الاسلامية وقلبها النابض بحياتها"[2].

ب. المساجد الثانوية:

تميزت بلنسية كغيرها من المدن الأندلسية بالعديد من المساجد التي حرص الخلفاء على تشييدها، نذكر منها مايلي:

- **مسجد البلنسي:** عرف أنّه "ينسب إلى الأمير الأموي عبد الله البلنسي ابن عبد الرحمان الداخل، ويغلب على الظن أنه أنشأه أثناء فترة حكمه للمدينة"[3].
- **مسجد بني حزب الله:** عمل على تأسيسه "بنو حزب الله داخل المدينة على الأرجح في عصر الطوائف، وتعتبر الأسرة من أشهر أسرات بلنسية المعروفة بالعلم"[4].
- **مسجد رحبة القاضي:** وهو "المسجد الذي صلى المسلمون فيه بعد أن استولى القنبطور على بلنسية وحول مسجدها الجامع إلى كنيسة، وكان هذا المسجد يقع في رحبة القاضي بالقرب من مركز المدينة"[5].
- **مسجد الغرفة:** (مسجد ابن سرنباق) وهو "مسجد سرنباق بريض ابن عطوش"[6] ببلنسية، "وتم نشر المصادر إلى مكان هذا الريض من المدينة، وينسب إلى بني سرنباق وهم من

---

[1]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص205.

[2]. المرجع نفسه، ص205.

[3]. ابو مصطفى،المرجع السابق، ص206.

[4]. المرجع نفسه، ص207.

[5]. المرجع نفسه، ص207.

[6]. المراكشي، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص270.

سراة بلنسية وذوي الثراء فيها، ومن المرجح أن هذا المسجد كان قائما في عصر الطوائف"[1].

5. المقابر:

كانت المقابر منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس، بسيطة تبنى من الطين، أما بالنسبة في المدن فقد كانت من الأحجار، بعدها تطورت وباتت "تعلوها القباب المزخرفة، وأصبحت الشواهد ألواحا من الرخام الأبيض تنقش عليه عبارات جنائزية، وامتلأ محيطها بالنباتات الجميلة"[2]، كما يذكر "أبو زيد أن مقابر الأندلس العامة كانت تقع غالبا أسوار المدن، قريبا من أبوابها، وتتبع إدارة الأوقاف، ولم يكن لها سور يحيط بها"[3]، ومع ذلك فقد "كانت هناك حالة استثنائية يصع فيها دفن الموتى بالجبانات الواقعة خارج الأسوار"[4]، وذلك لما عانته بلنسية من حروب وحصارات طويلة الأمد.

ومن أهم المقابر ببلنسية نذكر منها:

أ. **مقبرة باب الحنش:** حيث عرفت أنها: حيث عرفت أنها "تقع خارج باب الحنش وتنسب إليه، وقد دفن بها أعداد كبيرة، من أهل بلنسية وأعيانها وشيوخها وعلمائها نذك منهم على سبيل المثال محمد يبن يوسف بن مفرج (ت 593هـ)"[5].

---

[1]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص207.

[2]. مؤلف مجهول، هذا ما فعله الإبان في مقابر حكام الأندلس وأهلها، www.sasapost.com، 06/ 05/ 2022م، 15:51.

[3]. المرجع نفسه، 15:55.

[4]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص227.

[5]. المرجع نفسه، ص228.

ب. **مقبرة باب بياطلة:** وتقع هذه المقبرة خارج باب ببطالة والقرب من الرصافة، ومن بين الشخصيات التي دفن فيها الفقيه خلق بن يوسف الأنصاري (ت 519هـ)"[1].

ج. **مقبرة المصلى:** "تقع خارج السور الشرقي للمدينة قرب باب الشريعة (المصلى) ودفن فيها محمد بن علي بن هذيل (ت سنة 614هـ)"[2].

د. **مقبرة الجنان:** وهي "الظاهر أنها كانت داخل نطاق السور"[3]، ومن أهم الشخصيات التي دفنت فيها "أحمد بن علي ين يحي بن عون اله الأنصاري"[4].

6. المنيات والمتنزهات:

أوضح المحاضر محمد حمام أن "المنية ظاهرة حضارية مهمة ومشرقة نقلها عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس من الدولة المروانية في المشرق، بفضل ما كانت تتمتع به من وظائف مهمة وبناءة"[5]، فالمنيات كانت تعتبر مكانا يرتاح فيه الرئيس أو الحاكم الذي يريد الابتعاد عن هموم محيطه ومن المدينة بأكملها إلى مكان أفضل يوفر له الهدوء والراحة، كما أوضح "محمد حمام أن المنيات تشير إلى الازدهار الذي حظيت بها الفترة الأندلسية، ولم يختص بها الخليفة وحده ولكن امتدت إلى أشخاص آخرين، وأنه في بعض العصور بالغ الملوك في تشييدها"[6].

---

[1]. كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص228.

[2]. المرجع نفسه، ص228.

[3]. المرجع نفسه، ص228.

[4]. ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، السفر الأول الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، م1، ص518.

[5]. محمد حمام، "المنيات" مظهر حضاري تميز به العصر الأندلسي، www.alramedia.com، 16/ 05/ 2022م، 18:36.

[6]. المرجع نفسه، 18:45.

إنّ الرصافة كان يعتبر من أحد أرقى القصور في الأندلس و "الذي أقامه هشام عبد الملك في بادية الشام سنة 110هـ، وكان نواة المركز العمراني هام تحول إلى مدينة تحمل هذا الاسم"[1].

وكما عرفت بجمالها وازدهارها حيث "أصبحت رصافة بلنسية بفضل هذه المنية من أبدع منفرجاتها ومنزهها وامتد العمران بحيث أصبحت ريضا قائما بذاته من أرياض بلنسية"[2].

إنّ المنيات "كانت تختص بالتجارب الزراعية، فقد طلب عبد الرحمان الداخل الأشجار والنباتات المثمرة وغير المثمرة لزراعتها فيها (...)، وكانت تنسب هذه المنيات إلى أصحابها الذين يشدوها، أو لأحد الأشخاص المشهورين"[3].

أما عن منية ابن عبد العزيز فقد عرفت "باسم منية المنصور ومنية ابن أبي عامر، وكانت من أجل أعمال المنصور عبد العزيز أنشأها شمالي المدينة بريض أن عبد العزيز (...) واتخذها مقرا لراحته ونزهته ولهوة"[4]، حيث كانت تحتوي منيته على الطبيعة الجميلة والمليئة بالخيرات وكما "طرزت ضفافها بالأدواح والأشجار، وتوشحت بالورد والأزهار"[5]، ولكن مع الأسف ضاع كل شيء ولم يبقى منه تسئ يذكر غير بعض الاستعار التي قبلت في حسنه.

---

[1]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص221.

[2]. ابو مصطفى، المرجع السابق، ص221– 222.

[3]. محمد حمام، "المنيات" مظهر حضاري تميز به العصر الأندلسي، www.alramedia.com ، 05/06/ 2022م، 19:39.

[4]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص223.

[5]. المرجع نفسه، ص223.

وبالنسبة لمينة الوزير أبي بكر فقد قيل عنها: "أنها كانت تقع خارج باب الحنش، وكانت تطل على الوادي الأبيض، وفي وصفها يقول الفتح ابن خاقان: "وهي من أبدع منازل الدنيا، وقد مدت أدواحها الأوفياء، وأهوت إليها أزهارها العرف والرياء"[1]، فقد كانت من أجمل وأروع الأماكن للتنزه ببلنسية، كما كانوا يلتقون فيها الأحباء والأصدقاء وأيضا "كانت تعقد مجالس الأنس والطرب والشعر والأدب، ويختلط فيها غريد الطير والبلابل ونواح النواعير والواقي بآلات الطرب والغناء"[2].

7. ولجة بلنسية:

عرفها ابن الأبار في كتابه الحلة السراء قائلا: "ولجة- بالإسبانية nuelga- وهي الرحبة الواسعة التي تستعمل للنزهة وأصلها عربي مولجة هي الأرض التي ينعطف عليها النهر فتصبح محاطة بالماء من ثلاث جهات، وقد وجدت ولجات كثيرة قرب من أخرى، مدن أخرى، ولكني لم أعثر على ولجة بلنسية"[3]، حيث نلاحظ "استخدام ابن الأبار هذا الفظ عدة مرات، منها قوله: واحتفر للقاضي (ابن جحاف) حفرة وذلك ولجة بلنسية، وهذا يدل على أن كلمة ولجة كانت جارية في استعمال الأندلسيين، وقد وجدت ولجات أخرى قرب بعض المدن مثل: مرسية، غير أن ولجة بلنسية لا تزال غير واضحة لنا تماما"[4].

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في بلنسية عبر العصور.

إنّ النظام الاجتماعي في بلنسية والأندلس عامة مثله مثل أغلب المجتمعات الأخرى، حيث يتركز على تركيبات مختلفة من العناصر البشرية، ويتركز على التفاوت الطبقي، فمنذ

[1]. كمال السيد، المرجع السابق، ص224.

[2]. ابو مصطفى، المرجع السابق، ص224.

[3]. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص126.

[4]. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص225.

أن أسس المهدي الدولة الموحدية أضاف "بجانب هذا النظام الطبقي نظاما آخر يقوم على العصبية القبلية"[1].

وهذا راجع لعدّة أسباب منها اختلافه التركيبة البشرية والمستوى المعيشي لدى أفراد المجتمع، وأيضا من أهم الأسباب هو أنّ المهدي "آثر القبائل التي نصرت دعوته بميزات خاصة"[2]، وعمل ما فالقانطون في بلنسية لم يكونوا ذا عرق ونسل واحد.

1. عناصر السكان:

أ. **العرب:** لم يكن العرب من سكان أهل بلنسية ولكن قطنوها بعد أن فتح طارق بن زياد الأندلس وأصبحت تابعة للخلافة العباسية في المشرق، فكثر سكانها من العرب بعد أن ترحلوا إليها وبالطبع أصبحوا يمثلون الطبقة العليا في المجتمع البلنسي لأن الحكم على يدهم، "وقد نعم عرب بلنسية بحياة مترفة، إذ كانوا يعتبرون أنفسهم سادة الكورة ورؤسائها"[3]، وكان سب الدافع لاختيارهم ان يقطنوا بلنسية من بين مدن الأندلس هو: "سهولة أراضيها وخصوبة تربتها ودفء مناخها في فصل الشتاء (....)، وترتب على ذلك أن استغرق عرب بلنسية في حياة اللهو والراحة والشرق، فأقبلوا على الاستمتاع بحياتهم بإقامة العمارات والقصور وغرس البساتين والجناز"[4]، وقد كانت "من أهم المناطق التي نزلت بها القبائل العربية نجد بلنسية التي استقرت فيها قبيلة معافر اليمينة، ومنهم بتو جحاف حيث تمتعت بنفوذ كبير واستأثرت بخطة القضاء وامتهنوا الفلاحة"[5].

---

[1]. فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2007م، ص31.

[2]. فوزي عيسى، المرجع السابق، ص31.

[3]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص235.

[4]. المرجع نفسه، ص235– 236.

[5]. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف،رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006– 2007م، ص41.

كما قد سمي هؤلاء العرب بالداخلين، (.....) والعرب الداخلون قسمان، البلديون الذين جاؤوا مع طارق والشاميون الذين جاءوا مع بلج بن بشر"[1]؛ ومهما يكن فليس مهما متى دخلوا وأين استقروا فهم قد شكلوا عنصر هام ومحوري في المجتمع الأندلسي[2].

ب. البربر: معلوم أنّ العرب هاجروا للأندلس عن طريق الفتوحات التي قام بها طارق بن زياد لكن هذه الهجرة لم تكن مقتصرة عليهم فقط فنرى أنه قد نزح معهم البربر فقد "كان عدد البربر يفوق بكثير عدد العرب في هذه الحملة وهذا ما تؤكده المصادر وعلى رأسها ابن عذاري المراكشي، الذي يقول: "وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا من البربر"[3].

ومن الأماكن التي نزل بها البربر "الهضاب الوسطى وعلى القسم الجنوبي من الشواطئ الغربية"[4]، وقد "كانوا يمثلون جمهور السكان أو العدد الأعظم من اهل بلنسية، وكان معظمهم يعملون بالزراعة لصالح رؤساء العرب"[5]، وهنا "إذا ما تناولت عنصر البربر اعتبارهم الغالبية العظمى"[6]، نجد أنه "مازالت كورة بلنسية تحمل أسماء مواضع لها أصول بربرية، مما يبعث على الظن بأن معظم سكانها كانوا من البربر"[7]، ومن بين هذه الأصول نجد "مروان ابن رزين الملقب بحسام الدولة: كان جده هذيل بن خلف بن لب بن رزين

---

[1]. بلج بن بشر: قائد عسكري عربي تولى الأندلس في عصر الدولة الأموية، ويكيبيديا: www.ar.m.wikipedia.org.com، 25/ 05/ 2022م، 13:27.

كما أنه تلى فتح طارق بن زياد "موجات جاء أكبرها بالنسبة للعرب مع بلج بن بشر"، محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، دار أسامة، ط1، 1984م، ص15.

[2]. المرجع نفسه، ص15.

[3]. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس، ص43.

[4]. محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص15.

[5]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص236.

[6]. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص292.

[7].ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص237.

صاحب السهلة"[1]، والذين يطلق عليهم بنو رزين قد نسبت إليهم "بلدة (***Albarracin***) المشتقة من بني رزين النفزيين"[2]، فسبب تركهم بصماتهم في تسمية قراهم عدم استقرارهم في مكان واحدن فقد كانوا يتنقلون من منطقة لأخرى.

ج. **المولدون والمستعربون والصقالبة:** نجد في بلنسية بالإضافة لعنصري العرب والبربر أجناسا أخرى تكون منها المجتمع البلنسي فقد "سكنت إقليم بلنسية أخلاط غير منتظمة من السكان من أصول اسبانية مولدة ومسالمة ومعاهدة (.....) عرفوا بالمستعربة، بالإضافة للعنصر الصقلبي الذي ظهر في عصر الإمارة"[3]، فجنس الصقالبة من الصعب تحديد أصولهم الحقيقية "إمّا في الأندلس فكانت كلمة الصقالبة تطلق على الخصيان[4]، والأسرى من الأجناس الصقلبية الحقيقية"[5].

أمّا بالنسبة لأصل المولودين لم تتفق المصادر حول مفهوم المصطلح "حيث يرى السيد عبد العزيز سالم أنهم جيل جاء على إثر المصاهرة بين المسلمين وأهل البلاد، بينما الباحثة مريم قاسم طويل ترى أن المسالمة أي نصارى الاسبان أسلموا وتدينوا بالإسلام وترفض أن يكون المولودون من نتاج زواج المسلمين بالاسبانيات"[6].

أما المعاهدة الذين عرفوا بالمستعربون هم: "نصارى الاسبان الذين كانوا يعاشرون المسلمين، وستكلمون العربية مع احتفاظهم بدينهم ولذلك عرفوا بالمستعربين"[7]، أما المسالمة

---

[1]. لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص205.

[2]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص236.

[3]. المرجع نفسه، ص237.

[4]. الخصيان: "لما كان المسلمون غيرا في قضية الحريم، صاروا يخصون هؤلاء العبيد ليمكنهم استخدامهم في داخل الحريم دون خوف من الفتنة"، خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس، ص49.

[5]. المرجع نفسه، ص48.

[6]. المرجع نفسه، ص51.

[7]. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص130.

فهم "جماعة الإسبان الذين دخلوا الإسلام ويسميهم مؤرخو العرب المسالمة"[1]، لم تتفق المصادر والدراسات حول اعطاء مفهوم محدد وواضح عن هذه الأجناس.

وبالنسبة للوضع الذي كانوا يعيشونه فلقد "عاش المستعربة ببلنسية في هدوء وسلام (....)، وإن كانت هناك رواية ذات طابع أسطوري تشير إلى أنّ المستعربين ببلنسية قد تعرضوا للاضطهاد (...)، غير أنّ هذه الرواية تتسم بالخيال وليس لها أي سند تاريخي، كما يذكر المستشرقين أنفسهم"[2]، أمّا بالنسبة لاختلاطهم مع الأجناس الأخرى من عرب وبربر "فإن عناصر السكان لم تختلط فيما بينها، فالبربر لم يمتزجوا بالعرب أو بالمولدين والصقالبة"[3]، هذا عكس ما نرى في المغرب الأندلسي "فقد حمل هذا المجتمع المزيج بين طياته"[4]، ورغم عدم الامتزاج فيما بينهم إلاّ أنّ "لم يمنع أهل الشرق من طلب المساعدة من المرابطين وهم بربر تحت ضغط وتهديد السيد القمبيطور"[5].

2. طبقات المجتمع البلنسي:

إنّ تنوع التركيبة البشرية للمجتمع البلنسي كانت تلعب دورا كبيرا في ظهور الطبقات في المجتمع "فليس غريب مثل هذا الافتراض، لاسيما وقد كان أهل المشرق ينقسمون إلى طبقات ثلاث إلاّ أنّ في الأندلس قد هدلات ثائرة المولدين، فلم يقعوا مع العرب والبربر في جدال طبقي كالذي حدث بين العرب والموالي في المشرق وإن كان المولودون قد ثاروا مرارا انتصارا لقوميتهم"[6].

---

[1]. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص127.

[2]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص238.

[3]. المرجع نفسه، ص238.

[4]. محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص17.

[5]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص238.

[6]. ينظر: محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص19.

أ. **الطبقة الارستقراطية:** وهي الطبقة المترفة ذات المناصب العليا أي "الطبقة الخاصة في المجتمع التي تحظى بالرئاسة والشرف وتقتني الضياع الواسعة والأراضي الخصبة والثروات الوفيرة، التي تؤهلها لتولي المناصب العليا"[1]، فهذه الطبقة لها قيمة كبيرة في المجتمع البلنسي حيث كانت تسمى عندهم "بطبقة الأعيان، ويؤكد ابن بسام أنه ظهر ببلنسية طبقة خاصة ثرية، تشكلت من الوزراء والصقالبة الذين نعموا بشرف اجتماعي لا مثيل له"[2].

كما نجد بالإضافة إلى وزراء فقد ظهرت في "فترة حكم مبارك ومظفر الصقلين (...)، القضاة وكبار العلماء الذين آتت إليهم الرئاسة في أوقات المحن كالشأن في القاضي ابن جحاف"[3].

ب. **الطبقة الوسطى:** وهي الطبقة الأقل بدرجة من طبقة الأعيان وتتكون من: "التجار وكبار المزارعين وأصحاب الحرف، وكانوا يعيشون مستوى اجتماعي متوسط، وإن كان هذا المستوى يختلف ارتفاعا وانخفاضا باختلاف الأشخاص وأعمالهم"[4].

كما يطلق عن هذه الطبقة أيضا اسم الطبقة العامة، قال أبو عثمان: وإذا استمتعوني فيذكر العواصر فأنا لست أعني الفلاحين، والحشوة والصناع والباعة (...)، وأمّا العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وديننا واخلاقنا لطبقة التي عقولنا واخلاقها فوق تلك الأمم، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا"[5].

---

[1]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص235.

[2]. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس، ص62.

[3]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص240.

[4]. المرجع نفسه، ص240.

[5]. ابن الأبار القضاعي، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي، 2019م، ص135.

وقد كان أكثر من شكلوا هذه الطبقة في بلنسية هم التجار باعتبارها منطقة استراتيجية التجارة بسبب كثرة موانئها وتموقعها قرب البحر فأصبحت محطة للتجار القادمين وموقع انطلاقهم، "كما تكونت بلنسية في بداية عصر الطوائف طبقة من كبار التجار وصناع وهم الوافدين الذين انتجعوها فرارا من الفتنة القرطبية"[1]، أيضا نجد أن هذه الطبقة تعد "تغليفا للبنية الفوقية لجهاز السياسي والإداري كما هو الحال في اشبيلية، طليطلة، مالقة وبلنسية كما كان ملاكها الزراعيون من المستعربين"[2]، أيضا "كما كانت هذه الأخيرة تكون معظم الجيش"[3].

ج. طبقة الزرّاع: وهم من بين الطبقات المسلوبة حقوقهم حيث امتهنوا الزراعة فكانت " عماد حياتهم زراعة الارض وبيع محاصيلهم وفي بعض الاحيان كان الزراع يعانون من ظلم جباة المحاصيل وجامعي الضرائب"[4].

فكانت خسارة هؤلاء الفلاحين والمزراعين أكثر من ربحهم فنجد في عهد مبارك ومنطقة عاني زراع بلنسية من فداحة الضرائب، حتى اضطر العديد منهم إلى ترك اراضهم، فاستولى عليها هذان الصقليان، كذلك تعرضت الاراضي الزراعية بتلبية للنهب والتخريب أثناء حصار السيد القنبيطور للمدينة"[5] هذا ما نتج عنه ازدياد في الفقر والحرمان الذي سيطر سيطر على زراع بإشبيلية "فقد بلغ فقر هذه الفئة المظهرة كل مبلغ، ولعل الصورة التي

[1]. كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص240.

[2]. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس، ص64.

[3]. امحمد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، د. ط، 1983م، ص191.

[4]. حسن على حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، ص347.

[5]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة لبلنسية، ص240_241.

يسوقها الينا ابن عذاري تعبر عن ذلك، اذ يقول «حتى لغدا، كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش»[1].

د. العبيد: إن فئة العبيد من بين الفئات المكونة للمجتمع الاندلس عموما فقد "زاد الاقبال في بلنسية بحكم موقعها البحري واتصالها بممالك العضاري في اقتناء العبيد والاستكثار منهم للعمل في فلاحة الارض"[2]، ورغم حالهم المأساوي إلا أن هناك بعض العبيد بفضل حنكتهم وذكائهم حالفهم الحظ فقد شكلوا طبقة هانة من المجتمع البلنسي نجد منهم "العبيد الفتيان العامرية الذين كانوا في الاصل رقيقا ثم وصلوا الى ارقى المناصب في المجتمع ،وتمكنوا من الاستقلال بمنطقة شرق الاندلس عند نشوب الفتنة، فكونوا الهادويلان طائفية صغيرة احتازت بغلبة العنصر الصقلي عليها "[3]

هـ. المرتزقة والنصارى: هم آخر فئة من الفئات المهمة التي كونت المجتمع اللبلسني "فالمرتزق هو اي شخص يجري تجنيده خصيصا ليقاتل في نزاع مسلح"[4]،ويكون مستأجر من دولة لخرى حيث "استعان بعض امراء بلنسية بالجند المرتزقة، فكانت المنصور عبد العزيز بن ابي عام يستخدم في جيشه قوات مرتزقة من الناصري، (....) كذلك استعان القادر بن ذي النون عند استيلائه على بلنسية لفرقة من الجند النصارى بقيادة البرهانس وظلوا ببلنسية فترة لحماية القادر"[5].

---

[1]. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس، ص66.

[2]. المرجع نفسه، ص69.

[3]. ابو مصطفى تاريخ مدينة بلنسية، ص241.

[4]. كاتب مجهول، مفاهيم ومصطلحات الجزيرةwww.aljazeera.net 23 ماي 2022، 10:30 صباحا.

[5]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص241.

3. أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في بلنسية:

تميزت الحياة الاجتماعية في بلنسية بعدة مزايا وسمات نذكر كالآتي:

أ. **السمات الغالبة على أهل بلنسية:** هناك العديد من المزايا والصفات التي امتازت بها بلنسية عن غيرها من دول الاندلس فنجد ما "اورده المذري بقوله: «وقد اطبعت مدينة بلنسية بقلة الهم، لا تكاد ترى منهم احدا من جميع الطبقات الا وهو قليل الهم مليئا كان أو فقيرًا ،قد استعمل اكثر تجارها لأنفسهم اساب الراحة»"[1].

فهذا يعني ويدل على حياة اليسر التي كان ينعم بها الشعب البلنسي والرفاهية الطلقة فلا تجد عندهم اي مشاكل اقتصادية ادت لتدهور الاوضاع فيها، كما انّ نفسية الشعب كانت جد مرتاحة وذلك راجع الى البيئة الخلابة للمدينة بسب انبساط اراضيها الخصبة واتساعها وكثرة بساتينها ونجاقها فهذا من بين اهم الاسباب التي تعدل مزاج الشخص" وليس ادل على صحة هذا القول من الاطلاع على شعر الروضيات، الذي ينسب لشعراء بلنسية وعلى رأسهم ابن خفاجة وابن الزقاق وابن غالب الرصافي، وهي اشعار تنحم بالرقة المتناهية التي تعبر عن سحر الطبيعة وجمالها"[2]، ونجد من اهم شعراء بلنسية هو ابن الابار حيث اوغل في وصف بلاده من جميع النواحي هذا ما عكس صورة المجتمع البلنسي والحياة الكريمة التي عاشها فنجده وصف الانسان الاندلسي، كما تطرق لمدنية بلنسبة كعالم إسلامي وذلك بوصفه لرصفها والاشجار والطبيعة الفاتنة.....الخ.

والسبب الذي جعل البلنسيين يعيشون وينعمون بترف اجتماعي هو "النشاط التجاري الكبير الذي اتسمت به المدينة"[3].

---

[1]. ابو مصطفى ، المرجع السابق، ص 242.

[2]. المرجع نفسه، ص242_243.

[3]. المرجع نفسه، ص243.

أيضا فنجد هناك من وصف اهلها فقال:" ولأهلها حسن زي، واكرم طباع، والغالب عليهم طيب الانفس، وهي في أكثر الامور راضية الاسعار"[1].

ب. **الأسرة:** إن الاسرة في المجتمع الاندلسي تحظى باهتمام كبير فالبيوت حرماتها هذا ما يؤكده القول الآتي: "وكثير ما كان يعلو الدار مصاري لها منافذ بارزه عن جدان الدار تتيح للمرأة ان ترى من خلالها ما يجري في الخارج دون ان يراها احد، وكانت دور بلنسية من هذا النوع ولهذا السبب امر القنبيطور استولى على بلنسية جنده بتغطية نوافذ الابراج المطلة على المدينة على الفور حتى لا يقدم احد من الجند النصاري على كشف عورات البيوت"[2]، وهذا يدل على ان المرأة البلنسية والاندلسية عموما كانت حريتها محصورة وذلك حفاظا عليها من أعين المعتدين.

ج. **الأعياد والمواكب:** لكل دولة دين وعادات وتقاليد تميزها عن غيرها لذا تختلف الاعياد والمواكب فهناك اعياد وطنية ودينية كعيد الفطر والاضحى تشترك فيه بلنسية مع كل الدول الاسلامية كما هناك اعياد خاصة فنجد "احتفال نصارى بلنسية بعيد القديس سان خوان"[3]، وأيضا "من الاعياد التي كان يحتفل لها اهل المشرق لا سيما في بلنسية ونواحيها عيد الحصير، وكان يقام عند جني محصول العنب (....) في جو يسوده المرح والغناء والرقص ،ومن الغريب ان هذه العادة مازالت قائمة في اسبانيا ليومنا هذا"[4]، كما نجد العديد من انواع الاحتفالات الاخرى فيحتفلون "بانتصاراتهم والزواج(...)، واحتفالهم بخروج موكب الامير الى المسجد الجامع لصلاة الجمعة"[5].

د. **فن الغناء والموسيقي ببلنسية:** من المعروف أن أهل الاندلس انتشر منهم اللهو والطرب والموسيقى فقد ورثوه من المشارقة في الشام والحجاز والعراق فنجد "مدينة

---

[1]. حميري، روض المعطار، ص 47.

[2]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص243_244.

[3]. المرجع نفسه، ص245.

[4]. المرجع نفسه، ص245.

[5]. المرجع نفسه، ص245_246.

بلنسية في عصر الطوائف من اهم مراكز الغناء في الاندلس، فقد عرف اهلها بمرحهم واقبالهم على الملاهي والغناء"[1]، ومن فرط اهتمامهم بالغناء "لا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه الا وقد اتخذ عنه نفسه مغنية وأكثر من ذلك، وانما يتفاخر اهلها بكثرة الاغاني، فيقولون :عند فلان عودان وثلاثة واربعة وأكثر من ذلك"[2].

ه. **وسائل اللهو والتسلية:** بما أن البلنسيين كما ذكرنا قد تميزوا بالغناء والموسيقى وهو نوع من انواع اللهو والتسلية فلابد أن تكون له اماكن يقام فيها، لذا تميزت بلنسية البساتين، حتى عرفت بمطب الاندلس(...) واهلها اميل للراحات"[3]، فقد كانت ثقافة مجالس الطرب واللهو والادب في البساتين والرياض وقد غنى العديد من الشعراء هذه الاماكن حيث يصف الشاعر ابن خفاجة مجلس من تلك المجالس في بلده بلنسية فيقول:

"فكم يوم لهو قد أدرنا بأفقه ** نجوم كؤوس بين أخمار ندمان**

وللقضب والأطيار ملهى بجرعة ** فما شئت من رقص على رجع ألحان"[4]**

كما قد تنوعت "مجالس الانس والشراب على وجه الخصوص في عهد الامير المنصور عبد العزيز الذي كان يقيمها غالب في منيته المعروفة باسم منية المنصور"[5].

أيضا نجد من وسائل اللهو **الصيد بالبزاة والجوارح:** "فكان الامراء من هواة الصيد بالبزاة[6]، حيث يدربون صقورهم وجوارهم على الصيد (...)، فنجد ابز طاهر حاكم مرسية

---

[1]. ابو مصطفى، المرجع السابق، ص247.

[2]. حتاملة، موسوعة الديار، ص304.

[3]. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية في الثقافة للأندلس، ص100.

[4]. ابن خفافة، شعر ابن خفاجة، تحقيق: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، د.ط، 1951م، ص169.

[5]. ابو مصطفى، تاريخ مدنية بلنسية، ص248.

[6]. الباز: "نوع من الصقور، ينتمي الى الفصلية الصقرية، وهو من طيور مصر النادرة وله مهارة فائقة في الصيد"، كاتب مجهول، المعاني، www.almaany.com، 29ماي2022، 10:24.

يبعث الى صحبه ببلنسية المنصور عبد الغرير شوات نقات، ليستخدمها في رحلات صيده في جبال بلنسية"[1]، فكان الصيد عندهم وسيلة مهمة للترويح عن النفس ولاستمتاع بالحياة

الخروج للتريض والنزهة: نظرا لمدنية بلنسية الساحرة ونهرها العذب اعتاد اهلها التنزه في جنانها، بعيدا عن صخب الحياة "فيقضون سصابة يومهم بين ضلال وارفة ومياه جارية وخضرة متصلة بينها تطريهم تغريد الطيور على الاشجار[2].

يقول ابن الابار في ديوانه وهو يصف جمال هذه الاماكن:

"ونهرها كما ذابت سبائك فضة ** حكت بمحانيه انعطاف الاراقم**

اذا الشفق استولى عليه احمراره ** تبدى حضيبا مثل دامي الصوارم"[3]**

[1]. خميسي بو لعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية، ص103.

[2]. ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص249.

[3]ابن الابار، ديوان ابن الابار،ص306.

الخلاصة:

هناك العديد من العوامل التي أدّت لتطور بلنسية في كل المجالات منها الاجتماعية والثقافية والحضارية عامّة، وذلك راجع لموقعها الجغرافي وماله من أهمية بارزة في ازدهار التجارة وسهولة المواصلات وحتى الرحلات العلمية التي لعبت الدور المهم في تطور الثقافة والعلوم، كما كان لطبيعتها الخلابة الدور في إلهام الشعراء والأدباء فتفننوا في وصفها وذكر محاسنها.

الفصل الثاني:

صورة مدينة بلنسية في شعر ابن الأبّار

تمهيد:

رسم ابن الأبّار صورة واضحة لمدينة بلنسية من جميع النواحي، حيث تطرق لصورة الإنسان البلنسي التي تتمثل في الحياة التي عاشها في تلك الفترة سواء قبل الحرب أم بعدها، أي من حياة الرخاء إلى الشقاء كما صوّر المعالم الإسلامية التي دمرت من طرف الطغاة المتكالبين عليها فحوّلوا مساجدها إلى كنائس.

إضافة لما حظيت به المدينة من طبيعة ساحرة ألهمت قرائح الشعراء فتفنّنوا في وصفها وتعداد محاسنها.

تطرقنا في هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الاستنجاد والرثاء في شعر ابن الأبّار.

المبحث الثاني: الوصف والشوق في شعر ابن الأبّار.

المبحث الأول: الاستنجاد والرثاء في شعر ابن الأبّار.

تضمن شعر ابن الأبّار صورة الإنسان البلنسي بكل تفاصيلها السعيدة والحزينة، وأيضا رسم صورة واضحة للمعالم الإسلامية التي آلت إلى الزوال بفعل الحاقدين على الإسلام والمعادين له.

المطلب الأوّل: شعر الاستنجاد والاستعطاف.

برز هذا النوع من الشعر في العصر الأندلسي ونعني به "أن يقوم الشاعر بالدّعوة إلى العون وطلب المساعدة ممن يمتلك القوة والقدرة، (...) فكان الشاعر يستنجد من خلال قصيدته جميع العرب الذين ورثوا القوة والشجاعة العربية والنخوة"[1]

لقد كانت بداية شعر الاستغاثة أو ما نسميه الاستنجاد بعد انحلال الإمارة الأموية في الأندلس حيث أنه عندما انتهت فترة الإمارة وانفرط عقدها إنتزى كل وال بمدينة، ثم بدأت الثورات المتتالية إلى أن دخلت الدولة الموحدية وثبّتت سلطانها، وكما ذكرنا سابقا أنّها قد عرفت بكثرة التوترات السياسية لذلك نجد شعر الاستنجاد ازدهر ازدهارا لا مثيل له في هذا العصر، أي عصر الموحدين عن باقي عصور الأندلس، وقد تميز هذا الغرض بدقة الألفاظ وسحر الأسلوب، وذلك راجع إلى الشاعر نفسه حيث عبّر بصدق عما في داخله لينعكس ذلك على شعره، كما تميز هذا النوع من الأشعار بصورته الصادقة والمتأسية.

1. مناسبة قصيدتي الاستنجاد:

من المعروف أن ابن الأبّار البلنسي ولد في عصر الدولة الموحدية، والتي تعد من أعظم الدول الإسلامية وأضخمها على الإطلاق، حيث أسّسها المهدي ابن تومروت.

[1] رهف السيد، أغراض الشعر الأندلسي، www.sotor.com ، 4 جوان 2022، 19:29.

ورغم ما كان عليه هذا العصر من عظمة ورخاء ومجد، إلاّ أنه كان عصر فتن و حروب، فبدايته كانت ضد المرابطين ثم النصارى حيث تمكنوا بفضل قائدهم ألفونسو الثامن من إلحاق الهزيمة بالمسلمين، فتشتت وحدة البلاد، وتفرق القادة كل على ولايته وكان زيان ابن ابي الحملات قد استغل هذا التشتت واستقل ببلنسية يحكمها ويدير شؤونها إلى أن اقتحمتها القوّات الأراغونية ما أدّى لانهيار بلنسية، ولما عرف ابن ابي الحملات أنه لن يستطيع وحده مقاومة القوّات الأراغونية، بعث سفارة إلى ابي زكرياء الحفصي صاحب إفريقية يطلب منه المساعدة والدعم، هنا ألقى ابن الأبّار قصيدته الشهيرة المعروفة بالسينية والتي مطلعها:

"**أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللّهِ أَنْدَلُسَا**"[1].

ولم يستنجد ابن الأبّار بابي زكرياء مرة واحدة، لاستنقاذ بلنسية وإنّما قصده للمرة الثانية، وذلك بعد سقوطها، طالبا منه الدعم المادي والمعنوي، فاستنهض فيه الهمة لاستنقاذ بقية مدن الأندلس التي لازالت في أيدي المسلمين، وهذا دليل على روح الأخوة التي يتصف بها ابن الأبّار وحزنه الشديد على ضياع بلاد المسلمين، حتى وإن سقطت بلاده لا يزال يجاهد من أجل بقاء راية الإسلام مرفوعة، وإخراج النصارى كما وصفهم في ديوانه بأهل النار من جنة الله في أرضه ألا وهي الأندلس.

فنجد هذه القصيدة قدمها ابن الأبّار سنة"635هـ"[2] إلى ابن زكرياء يرتجي منه المساعدة بتقديم كل وسائل الدعم من أجل نصرة الإسلام والمسلمين حيث قال في مطلعها:

" **نادتك أندَلُس فلب نِدَاءَهَا**"[3]

---

[1] ابن الأبّار، الديوان، ص395.

[2] المصدر نفسه، ص33.

[3] المصدر نفسه، ص33.

2. قصيدتي الاستنجاد:

تطرقنا في هذه الدراسة لمعالجة القصيدتين معالجة تحليلية تكشف خصائصهما الأسلوبية.

2-1- قصيدة أدْرِك بخيلك: ستتم مقاربة هذه القصيدة من جانبين هما: مضمون القصيدة وقراءة موجزة في القصيدة.

أ. **مضمون القصيدة:** للقصيدة العربية منهجين فهناك البسيطة والمركبة وعلى إثر ذلك يقول حازم القارطاجني" والقصائد: منها بسيطة الأغراض ومنها المركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا(...)، والمركبة هي التي يشمل الكلام فيها غرضين" [1]

والناظر في ديوان ابن الأبّار يجده سار في قصائده على منهجين:" منهج اتّبع فيه مسار القصيدة العربية القديمة(...)، ومنهج تملص فيه من هذا العقال، أين دعا على التحقيق من النسيب[2]، لا سيما في بعض المواقف التي تستدعي ذلك، ولا تحمل التأخير كالتهنئة والرثاء والزهد، والاستنجاد والوصف"[3].

- **صورة معاناة الإنسان البلنسي ومحنته في ظل الاحتلال:** تشيع في شعر ابن الأبّار صورة الإنسان الأندلسي المستنجد بإخوانه المسلمين، باستنهاض الهمم، وشد عزائمهم، فتتداخل في القصيدة صورة الإنسان ومعاناته والواقع المأساوي الذي يعيشه مع صرخة الاستنجاد التي انبثقت من داخله، لنصرة بلده من أمراء الدول الإسلامية داخل الأندلس.

والواقع أنّ ما حدث ولحق بمقدسات المسلمين من تخريب وتشويه، وما حل بهم من بطش ونكال مع تردي الأوضاع بالمدينة والثغور وما اعتراها من ضعف وتمزق، دفع

---

[1] ابي الحزم حازم القارطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخرجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان–بيروت، د.ط، 1981م، ص303.

[2] النسيب:" هو الجمع بين الغزل والتشبيب (ذكر صفات المحبوب ذكر صريح ويشهر به)"، حياتك، الفرق بين الغزل والنسيب والتشبيب، www.hyatok.com، 4/ 6/2022، 11:28.

[3]. شاكر لقمان، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبّار القضاعي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، العدد17، 2013م، ص73.

البلنسيين إلى نفض أيديهم من كل مساعدة من داخل بلادهم ، والنظر لطلب العون من إخوانهم المسلمين في المغرب العربي.

ولنا في هذا نموذج عن مأساة "بلنسية" وما عانته من حصار الملك خايمي الآراغوني عندما زحف بجيشه الضخم عليها وشدد الخناق.

فنجد ابن الأبّار الشاعر والأديب آثر أن يكون حديثه على بلده بلنسية وبالدعم من ابي زكريا صاحب إفريقية (تونس الآن) شعرا، رغم إدراكه أنّ الأمل في إنقاذ بلاده من قبضة العدو ضعيف جدا، لكنه مؤمن أنّه لابد من بذل المحاولة لإنقاذها مع قلّة الحيلة.

حيث كانت هذه المرحلة مرحلة أمل في التغيير فنرى زيان صاحب بلنسية متأمل بإرسال ابن الأبّار على رأس وفد يقوده، ليأته بالمدد والعتاد لنصرتهم، لذا سعى مستصرخا الخليفة الموحدي لاستنقاذ بلدهم قبل أن تسقط كل راياتهم وصروحهم، وذلك بإيقاظ الغيرة في نفوس الحفصيين على الإسلام بعد ما خاب أملهم في أمراء الأندلس.

فبدأ قصيدته بدعوة حارة للأمير زكريا لنجدة الأندلس قال فيها:

"أَدْرَك بخيلك خَيْلَ اللّهِ أندلسا ** أن السّبِيلَ إِلَى منجاتها دَرْسًا**
وَهْب لها عَزِيزٌ النّصْرَ مَا الْتَمَست ** فَلَمْ يَزَلْ مِنْك عَزّ النَّصْر مُلْتَمِسًا**
وَحَاش مِمَّا تُعَانيه حشاشتها ** فطالما ذاقت الْبَلْوَى صَبَاح مسا"[1]**

فمن كلمة أدرك نفهم أنّه يخاطب ابن زكريا ويدعوه للتوجه لنصرة الإسلام ببلاد الأندلس، كما قد لقب خيل الأمير بخيل الله والقصد منها رابطة الدين، حيث استدعى قول الرسول صلّ الله عليه وسلم:" يا خيل الله اركبي وإلى الله ارغبي"[2]

[1] ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص 395.

[2] آلاء جرار، يا خيل الله اركبي،www.mawdoo.com، 9 جوان2022، 2:22.

فقد قاله الرسول صلّ الله عليه وسلم وذلك من أجل حث المسلمين في غزوة الأحزاب على الجهاد ومقاومة الكفار أعداء الإسلام، فجاء هذا الاستدعاء متماشيا مع الموقف في النص الشعري الذي قيل فيه، حيث يناشد زكريا ويستصرخه للجهاد لدفع الكفر وسحقه.

فاستعمل الشاعر الأسلوب الإنشائي كالأمر(أدرِك) و(حاش) لا للدّلالة عن معناهما الحقيقي وهو أمر الأمير فالأمير لا يؤمر بل يأمر فجاءت هذه الأفعال لتفيد الاستعطاف ثم أتبعه ب- "إنّ السبيل " وهو توكيد لفظي (اسمي) لفعل أمر هدفه توجيه الأمير للغرض الذي يريده وهو إنقاذ بلنسية حيث أنّ الطريق لخلاصها قد بان وظهر وتقادم(درسا)، وهنا يدل على شرارة الأمل التي يحملها ابن الأبّار.

- **صورة المعالم الإسلامية:** صوّر الشاعر في هذه القصيدة كل مظاهر الظلم والفساد التي حلت ببلنسية وأهلها، وكيف أحل الشرك دار المسلمين التي لحقها التشويه والتخريب على يد المعتدين، فالمساجد أصبحت كنائس، وطمست كل مظاهر الجمال وأصبحت مستباحة من طرف الطغاة المتكالبين عليها.

"يا للجزيرة أَضْحَى أَهْلِهَا جُزُرًا ** للحادثات وَأَمْسَى جَدِّهَا تَعْسًا**

فِي كُلِّ شارِقَة إلْمَامٌ بَائِقَة ** يَعُود مأتمها عِنْد الْعُدّى عُرْسًا**

وَكُلّ غاربة إجْحَافٌ نَائبُه ** تُثَنَّى إلاّمَأن حِذَارًا وَالشُّرُور آسَى**

تَقَاسَم الرُّوم لنالت مقاسمهم ** إلاّ عقائلها المحجوبة الأنسا**

وَفِي بَلَنْسِيَة مِنْهَا وَقُرْطُبَة ** مَا ينسف النَّفْسِ أَوْ فاينزف النفسا**

مَدَائِن حِلِّهَا إلاّشْرَاك مُبْتَسِما ** جَذْلَأن وَارْتَحَل الإيمَان مبتئسا**

يا للمساجد عَادَات للعدى بَيْعًا ** وللنداء غَدًا أَثْنَاءَهَا جرسا**

لَهْفِي عَلَيْهَا إلَى اسْتِرْجَاعِ فَائِتَهَا ** مدارسا للمثاني أَصْبَحْت دَرْسًا"** [1]

[1] ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار ، ص395- 396.

أهم ما نلحظه في هذه الأبيات هي النقلة التي اعتمدها الشاعر من الخاص إلى العام أي من مدينة بلنسية إلى حديثه عن جزيرة الأندلس، فامتزجت في هذه الأبيات العاطفة الدينية بالعاطفة الإنسانية.

فنراه قد وظّف أسلوب النداء "يا للجزيرة" والغرض منه هو التحسر والتأسف إذ يخبر الأمير عن حال المسلمين وكيف أصبحوا يقتلون بسيوف النصارى، فالمصائب حلت منذ أن تقاسمها الروم فيما بينهم واستباحوها، إلى أن يذكر أهم مدينتين في الأندلس قرطبة و بلنسية مسقط رأس الشاعر، ويوضح فيهما الآلام والمآسي التي حلت بهما وذلك بقتلهم وخنق أنفاسهم.

اعتمد أسلوب المقابلة بين معنيين متوافقين، فقابل بين دخول الشرك وارتحال الإسلام، كما قارب بين ما حل بأهلها من حزن وألم وما نال الأعداء من فرح وسعادة، وبين المساجد التي تحولت لكنائس.

اعتمد الأسلوب الإنشائي في النداء بغرض التحسر" يا للمساجد"، تحسر على حالها من بعد أن كانت عامرة بالناس لأداء الصلاة فتحولت لكنائس، وبدلا من سماع الآذان أصبحوا يسمعون أجراس ونواقيس النصارى وبالزوايا القرآنية التي كانت مليئة بالقارئين كيف آلت للإخلاء والهدم.

شخّص الشاعر بعض الجمادات فأعطاها صفات إنسانية تنبض بالحياة لتبيين موقف الشاعر، ولما لها من دلالة فنية ونفسية مؤثرة وذلك من أجل التأثير على المتلقي (ابي زكريا) ليسرع بالدعم لبلنسية.

أبدع الشاعر بالتعبير عن مشاعره بطريقته الخاصة بالجمع والربط بين أمور مختلفة، ليشكل المعاني والصور بالأبيات الشعرية حسب شعوره، فالجمع بين المتباعدات خلق جمال

الأسلوب وناغم التأليف، فشخّص الإشراك وهو شيء معنوي بجعله يبتسم و تعد هذه الصفة من صفات الإنسان، كما شخّص الإيمان بجعله إنسان يرحل بائسا.

وفي مشهد آخر عرض أهوال متنوعة يكشف بها مشاهد التدمير التي أحدثها النصارى عندما دخلوا بلنسية ، ليحرّك روح الحمية والنخوة في نفس الأمير الحفصي وصد العدوان الرومي يقول:

"وَحَال مَا حَوْلَهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَب ** يستجلس الرُّكَب أَو يستركب الجلسا**
سُرْعَأن مَا عاث جَيْش الْكُفْر وحاربا ** عَيْث الدَّبَى فِي مغأنها الَّتِي كَبَسَا**
وابتز بزتها مِمَّا تحيفها ** تَحَيُّفٌ الاّسَد الضَّارِي لِمَا افترسا**
مَحَا مَحَاسِنَهَا طاغ أُتِيح لَهَا ** مَا نَامَ عَنْ هَضْمُها حِينًا وَمَا نعسا**
ورج أرجاءها لَمَّا أُحِيطَ بِهَا ** فغادر الشَّمّ مِن أَعْلَامُهَا خنسا**
خِلَاله الجَوّ فامتدت يَدَاهُ إِلَى ** إِدْرَاكِ مَا لَمْ تَطَأ رِجْلَاه مختلسا"[1]**

هنا الشاعر صور ما أقدم عليه الإفرنج فهم فعلا كما وصفهم السلطان سليمان القانوني بالوحوش الكاسرة، إذ ما لبثوا أو أدركوا فرصة لاحتلال دولة إلا وأخذوا ثرواتها تاركين وراءهم دمارا وخرابا.

رسم شخصية العدو بالصور الحركية التي تتناسب مع النص عن طريق اللغة لتجسيد هذه الحركة الدائبة للعدو، فهو في حركة مستمرة في تدمير وتخريب البلاد وقتل النّساء والشيوخ، ومن بين هذه الألفاظ التي جسدت هذه الحركة " عاث–ابتز– رجّ".

كما اعتمد على التشبيه فشبه العدو الجائر بالجراد عندما يعيث في المحصول فسادا، فقد عاث جيش الكفر في بلنسية دمارا" عاث عيث الدِّبى" وشبّهه بالأسد الضاري الذي ينهش فريسته بدون رحمة كما ينهش الكفار دولة الإسلام وشعبها.

[1] ابن الأبّار، المصدر السابق ، ص396–397.

والغرض من هاتين الصورتين المتماثلتين، أي صورة العدو بصورة الطيور المهلكة والحيوانات المتوحشة لإثارة الحفصيين واستنهاض همتهم، لتطهير بلنسية من نجس النصارى.

كما أورد في قصيدته مناقب الأمير وعدّد خصاله ومآثره في العديد من الأبيات التي تجاوزت تقريبا ثلث القصيدة ونذكر منها ما يلي:

"صلّ حَبْلُهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيم فَمَا ** أَبْقَى المِراس لَهَا حَبْلاً ولَا مرس**
وَأَحْي مَا طُمِسَت مِنْه الْعُدَاة كَمَا ** أُحْيِيَت مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيّ ماطمس**
أَيَّام سَرَت لِنَصْرِ الْحَقّ مُشَبِّهًا ** وَبَثّ مِنْ نُورٍ ذَاك الْهَدْي مقتبسا**
تَمْحُو الّذِي كَتَبَ التجسيم مَنْ ظَلَمَ ** وَالصُّبْح مَاحِيَةٌ أنوَارِه الغلسا**
..... **** .....
مِلْك تَقَلَّدْت إلاّمْلَاك طَاعَتِه ** دِينًا وَدُنْيَا فغشاها الرِّضَى كَبَسَا**
مِنْ كُلِّ غَادٍ عَلَى يُمْنَاهُ مُسْتَلِمًا ** وَكُلّ صَاد إلَى نعماه مُلْتَمِسًا"[1]**

فقد مدحه وعدّد خصاله التي عرف بها من ورع وتقوى، كما ذكّره بأنّ له الفضل الكبير في إحياء دعوة المهدي تومروت مؤسس الدولة الموحدية العظمى، لما نصره وساعده على نشر الدين ومحو كل ضلالة وكفر، فجاء هذا النص امتزاجا تعالق فيه الخطاب الشعري بالنص الديني ليبرز فيه صدق المحتوى وجمال التركيب مثال ذلك "صِل حبلها أيّها المولى الرّحيم"، " ملِكا تقلدت الأملاك طاعته دينا ودنيا فغشاها الرضى".

وختم الشاعر قصيدته بأن جعل في آخر أبيات منها نبرة الاستصراخ التي تدوّي من أجل الإسراع في تلبية النداء وتطهير البلاد من أهل الشرك وبعث الأمل في نفوس أهلها من جديد:

" يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أنتَ كَمَا ** عَلْيَاء تَوَسَّع أَعْدَاء الْهُدَى تَعْسًا**
وَقَد تَوَاتَرَت إلاّيَاء أَقَلَّ مِنْ ** يُحْيِي بِقَتْل مُلُوك الصُّفْر أندلسا**

[1] ابن الأبّار، المصدر السابق، ص399–400.

طَهُر بِلَادِك مِنْهُم غنهم نَجِسٌ **** وَلَا طَهَارَةٍ مَا لَمْ تُغْسَلْ النجسا
وأوطئ الْفَيْلَق الْجِرَار أَرْضِهِ **** محَتَّى يُطَأْطِئ رَأْسًا كُلٍّ مِنْ رَأْسًا
وَأنصُر عَبِيدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَرِقَت **** عُيُونُهُم أَدْمَع تهمي زَكَا وخسا
هُم شَيَّعَه إلاّمر وَهِيَ الدّارُ قَدْ نهكت **** داءا وَلَم تُبَاشِر حَسَمَه أنتكسا
فاملأ هَنِيئًا لَك التمليس سَاحَتِهَا **** جُرْدًا سلاهب أَو خَطَئه دعس
وَاضْرِب لَهَا مَوْعِدا بِالْفَتْح تَرَقُّبُه **** لَعَلّ يَوْم إلاّعَادِي قَدْ أَتَى وَعَسَى"[1]

ابتدأها بالنداء والغرض منه استنهاض همة الملك ثم قال بأنّ الأنباء قد تواترت أي الأخبار شاعت أنّك أنت من تستطيع إنهاء ملوك الصفر فوصفِه للروم بالصّفر سببه ما تلقبوا به قديما عند العرب فكانوا ينادونهم "ببني الأصفر"[2]، لصفرة وجوههم وشعورهم، كما أنّ أعلامهم في ذلك الوقت كانت "في المعارك صفراء"[3]

ثم يستدرك الحديث ويطالب الملك بأن يطهِّر بلاده فيقول: "طهِّر بلادك" فغرضه من نسبة البلاد له هو تحسيس الملك بصلة القرابة والمقصود بالقرابة هنا لا قرابة الدّم إنّما قرابة الأصل والدين فأي مسألة متعلقة بدولة إسلامية هي قضية تخص المسلمين أجمع فهي بلادك مادامت بحوزة العرب والمسلمين ولأنّ بلادهم بلادك ولا فرق بينهما، هنا يحرِّك روح النَّخوة والجهاد ويدعوه لتطهير بلاد المسلمين من النّجس ؛أي الكفار المشركين الغاصبين فلا طهارة من دون غسل النجاسة ؛أي تحرير البلد بإخراجهم منها مذلولين خائبين مدحورين.

وذلك من أجل نصرة المسلمين الذين باتت الدموع من أعينهم تسيل، حيث قد شرقت بأقصى شرقها ويقصد بلنسية.

[1] ابن الأبّار، المصدر السابق، ص399–400.

[2] مؤلف مجهول، الفصيح لعلوم اللغة العربية، www.alfaseeh.com، 2022/6/4، 21:27.

[3] المرجع نفسه، 21:27.

كما أنّ هذه الدار ستسلب إن لم تهب إلى نصرتها بإرسال الخيل القصار (الجرد) والطوال(السلاهب).

وفي الأخير يتوقع النصر القريب على يده، مطالبا إياه تحديد وقت الفتح فعسى أن يكون يوم نهاية الأعداء قد قرب وحل.

فهذه الأبيات تحمل دلالات الأمل الذي يخامر البلنسيين وابن الأبّار بالنصر، ما داموا طالبين الدعم من ابي زكريا فيرون فيه خلاصهم وملاذهم.

ب. قراءة موجزة في القصيدة:

- **نمط القصيدة:** وصفي يتضمن الإخبار
- **الفكرة العامة:** الاستنجاد بابي زكريا الحفصي
- **الأّفكار الجزئية:**
  - طلب الدعم من ابي زكريا لنصرة بلنسية من أيدي النصارى
  - تصوير الشاعر لمأساة بلنسية وأهلها
  - تحسر الشاعر على بلنسية
  - استنهاض همة الأمير الحفصي
- إن كانت القصيدة تحتوي على إستقلالية الأبيات قديما، فإنّ في هذه القصيدة نلمس وحدة البيت وتعدد الأغراض فيها فنجد الوصف والحسرة واستنهاض الهمة والاستنجاد
- بنى الشاعر قصيدته من بحر مركب هو: بحر البسيط

"أَدرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسَا إنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا"

أدرك بخيلكخيلللاهأندلسا إننسسبيل إلى منجاتها درسا

0/// 0//0/0/ 0// /0//0 /0/ 0/// 0// 0/0/ 0/// 0// 0/0/

مُسْتَفْعِلُنْ /فَعِلُنْ/مُسْتَفْعِلُنْ/ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ/ فَعِلُنْ/ مُسْتَفْعِلُنْ/ فَعِلُنْ

- اختار الألفاظ المناسبة لبناء نصه فوظّف ما يدل على حال الأندلس، باختيار الألفاظ الرقيقة السهلة التي تعبر بدقة عمّا آلت إليه أثناء الحصار الآراغوني، وهذا ما نلمسه في الألفاظ الآتية:" تعانيه- ذاقت البلوى- لهفي – مغانيها- نصر الحق- أفضل مرجو- ماحية أنواره- أضراها قبس- الثرى والثريا- نبعه- أثمرت للمجد- آماله- العذب المعين".
- وظّف الحروف الصفيرية وذلك لتعطي جرسا موسيقيا بالغ الأثر وهي: (س-ز-ص) تمثلت في الألفاظ التالية:

"ينسف النّفس- ينزف النّفسا- السرور أسى -الأنسا- مبتئسا- مبتسما- ملتمسا – مسا- تعسا- خنسا- مختلسا- كبسا- ابتزّ بزّتها- كنسا- سلسا- كسا- عسا- مدارسا- دساكر- نبسا- مرسى- شرسا- ملتمس- هجسا- احتبسا...الخ"

- استخدم الشاعر بعض الألفاظ التي تدل على تحسره مثل:

" يا للجزيرة- يا للمساجد- لهفي- كانت حدائق- أين عيش جنيناه بها."

- استعمل الألفاظ القوية التي تعبر عن معاني القوة والعزة وذلك في آخر الأبيات حيث يستنهض همة الملك ويثير النخوة فيه نجد :" يا أيّها الملك المنصور- أنصر عبدا- طهّر بلادا- هنيئا لك التمكين- إضرب بها موعدا- حسمه- من يحيي".
- والنزعة الدينية التي كانت حاضرة بقوة في هذه القصيدة بتوظيف الألفاظ الدالة عنها: "مساجد- كنائس- جيش الكفر- نصر الحق- نور الهدى- أمر الله منتصرا- كتب التجسيم- الظلم- الملك الجبّار- من تربة القدسا- دينا ودنيا- الرضى- طاعته- أملاك- تالله إنّ الذي ترجى- الحلل والإحسان دعوته- مبارك هديه- نوّر الله- التقوى بصيرته- صاغ الله- العدل- بشرى لعبد على الباب الكريم حدا- موعدا بالفتح."

فهذه الصفات مرتبطة بالعاطفة الدينية التي يريد الشاعر إثارتها في الخليفة الحفصي فجاء اتكاءه عليها، ليجعل الخطابة أكثر تأثيرا في نفس الخليفة فاستوحى ذلك من القرآن نضرب مثال عن هذا عندما وصفهم بالنجس يقول تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أنمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَأن خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ أن شَاءَ أن اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[1]

واستدعاء النص القرآني هنا غرضه الصورة التشبيهية فشبه العدو النجس بكفّار قريش الذين يتصفون بكفرهم ، ثم أضاف للصورة الفنية بعدا آخر استوحاه من واقعه فإذا كان مسلمو قريش مطالبون بتطهير مكة من الكفار وإخراجهم منها ، أيضا ابي زكريا مطالب بتطهير بلنسية من النصارى وذلك بدافع إنساني وديني.

– استخدام الأفعال الطلبية التي بنى عليها أسلوبه مثل:" صِل– طهّر– اضرب– أنصر" ليس المراد منها المعنى الحقيقي إنما غرضه الاستعطاف واستنهاض همة الخليفة للدفاع عن بلنسية.

– استعمل أيضا أسلوب النداء:" يالجزيرة – يا أيها المنصور" كما استعمل أسلوب التوكيد "أنت لها – وقد تواترت الأنباء" في هذه الألفاظ بالضبط هدفه ليس نقل الوقائع وطلب المساعدة إنما يريد حثَّ الخليفة على الجهاد ونصرة الإسلام.

2-2- قصيدة نادتك أندلس:

سندرس هذه القصيدة من ناحيتين:

أ. **مضمون القصيدة:** عندما سقطت بلنسية بقيت مجموعة من المدن الأندلسية تقاوم، هذا ما أخذ غيرة الشاعر "ابن الأبّار" على وطنه وعلى راية الإسلام وأدرك أنّها بحاجة ماسّة

[1] سورة التوبة، الآية 28.

على من يدافع عنها وأنّه من الواجب عليه تشجيع وطلب الدعم من ابي زكريا للمرة الثانية للتّصدي للأعداء فألقى قصيدته يقول:

"نادتك أندَلُس فلب نِدَاءَهَا ** وَاجْعَل طَوَاغِيت الصَّلِيب فداءها**

صَرَخَت بِدَعْوَتِك الْعَلِيَّة فَأَحَبَّهَا ** مِن عاطفتك مَا بَقِيَ حوباءها"[1]**

ففي مطلع القصيدة يخاطبه الشاعر ويستنهض همّته لاستنقاذ الأندلس داعيا إيّاه للقضاء على طواغيت الظلم والضلال من المحتلين مبيّنا أنّها تصرخ مستنجدة وهي الأحق بنجدتك ومحبّتك، وأنّها الأجدر بحماية خيلك فاشدد أزرها وادفع عنها الرّزايا.

كما بيّن له أنّها إيّالة تابعة لتونس الحفصية (البيت4) فانصرها فلم يبق للعباد سوى اللّجوء إلى الله تعالى والتضرّع له.

فأفعال الأمر:" لبّ- أحبها- أشدد " غير حقيقية غرضها البلاغي الاستنجاد إذ لا يعقل أن يأمر الشاعر(الخليفة ابي زكريا الحفصي) وإنّما استعطفه وراح يذكّره أنّ بلنسية ومدن الأندلس هم جزء تابع لدولتك بل هم حرمة من حرم الإسلام والأرحام.

أما باقي الأبيات:

"وَبِهَا عَبِيدُك لِإِبْقَاء كَهُم سِوَى ** سُبُل الضّرَاعَة يَسْلُكُون سواءها**

خَلَعْت قُلُوبِهِم هُنَاك عزاءها ** لِمَا رَأَتْ أَبْصَارَهُم مَا ساءها**

ذفعواإلاّبْكَار الْخُطُوب وَعُونُهَا ** فَهُم الْغُدَاة يصابرون عَنَاءَهَا**

وتنكرت لَهُم اللَّيَالِيَ مَا فافتضت ** سراءها وقضتهم ضراءها**

تِلْك الجزير لَا بَقَاءَ لَهَا ** إِذَا لَمْ يَضْمَنْ الْفَتْح الْقَرِيب بَقَاءَهَا**

رَشّ أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيم جَنَاحُهَا ** واعقد بأرشية النَّجَاة رشاءها"[2]**

[1] ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص 33-34.

- **صورة الإنسان البلنسي:** ففيها يسرد الشاعر معاناة أهل الأندلس وما يتعرضون له من ظلم وقهر وخطوب جمّة، فالقلوب خلعت عزاءها لهول ما أصابها وهنا استعارة مكنية راقية شبّه فيها القلوب بالإنسان الذي قد يخلع أو يلبس، فلم يعد هناك مكان للفرار لعظم ما ساءها فليس من حل إلاّ أن يصبروا ويصابروا بعد أن تنكّر لهم الزمان.

ويكاد اليأس أن يغلب الشاعر حزنا فالأندلس كلها (الجزيرة) قد تزول إذا لم تجد من يفتحها مرة أخرى ويعيد لها مجدها، ولا منقذ إلاّ المولى الرحيم وفي هذا المقام لجأ الشاعر إلى صورة بيانية جذّابة (رش أيّها المولى الرّحيم جناحها) فالاستعارة المكنية حين شبّه الأندلس بالطّائر الذي فقد وظيفة جناحه لذلك اختار اسما مناسبا من أسماء الله الحسنى وهو الرحيم كي يرحم الأندلس ويعيد الريش لجناحها كما سبق عهدها فلا فائدة من جناح بلا ريش.

- يعود مرّة أخرى الشاعر (لمخاطبة الخليفة) نافخا صورته مادحا إيّاه في ثوب استنجاد

"حَاشَاك أن تَفْنَى حشاشتها ** وَقَد قَصَرْت عَلَيْك نِدَاءَهَا ورجاءها "**[1]

- وفي باقي الأبيات يندب الشاعر ويتحسّر على ما آلت إليه الأمور

" يَا حَسْرَتِي لعقائل مَعْقُولَة ** سَئِم الْهُدَى نَحْو الضَّلَال هداءها ."**[2]

(ياحسرتى) وهو نداء غرضه البلاغي إظهار الحزن والأسى والحسرة

- وفي البيت الموالي يكشف الشاعر عن سبب هذا الحزن الأليم في قوله:

إيَه بَلَنْسِيَة ، وَفِي ذكراك مَا ** يمري الشُّؤُون دِمَاءَهَا لَا مَاءَهَا.**[3]

مبيّنا أنّ لا شيء يبكي العيون دماءا لا دموعا أكثر من الظلم الذي تعانيه مدن الأندلس وسقوط بلنسية، ويعقبه استفهام غير حقيقي

---

[1]. ابن الأبّار، المصدر السابق، ص 34.

[2]. المصدر نفسه، ص 34.

[3]. المصدر نفسه، ص 34 .

كَيْف السَّبِيلُ عَلَى احْتِلال مُعَاهَد ** شَبّ إلاّعَاجِم دُونَهَا هيجاءها**[1]

غرضه البلاغي إظهار العجز وقلة الحيلة في تغيير ما يحدث أو ردّه.

إنّ الشاعر في هذه المرثية شديد الحزن ويكاد يكون يائسا فهو لا يجد من يخرص نواقيس الصليب أو من يتعرّض سبيل الأعاجم في أرض الأندلس، فالأمر بالنسبة له أشبه ما يكون بالخروج من الجنّة ودخول نار جهنم.

إنّ الشاعر في هذه القصيدة لا يختلف كثيرا عن شعراء الأندلس وهم يرثون مدنهم ومماليكهم، فما أقرب أسلوبه بأسلوب(ابي البقاء الرندي).

فحالة الحزن واليأس بل أكثر من ذلك فالنقل حالة الرضى بما يحدث حوله وأمامه تكاد تكون نفسها عند الرجلين فالشاعر مثلا في البيت التالي:

وكفى آسَى أن الفواجع جَمَّة ** فَمَتَى يُقَاوِم أسوءها أسواءها.**[2]

لا يرى أنّ هناك ما هو أكثر فجيعة مما يحدث، فالاستفهام في البيت غرضه البلاغي النفي(لا يمكن إذا في نظره أن يحدث ما هو أسوء فحسبه ما هو حاصل).

لكنّه يعود مرة أخرى مخاطبا الخليفة في حماسة مستنهضا همته على إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأن يستنجد بكل من يمكن استدعاءه لمثل هذه المهمة، ويشير في البيت التّالي لبني دبّاب فيقول:

تا الله لَو دَبَّت لَهَا دبابها ** لطوت عَلَيْهَا أَرْضِهَا وسماءها**[3]

---

[1]. ابن الابار، المصدر السابق، ص 34.

[2]. المصدر نفسه، ص 35.

[3]. المصدر نفسه ، ص 35.

إنّ القصيدة موضع الدّراسة مزيج من المشاعر الإنسانية النّبيلة التي من الطبيعي جدّا أن تختلط وتمتزج في مثل هذا الموقف فبين اليأس والرجاء والتفاؤل والتشاؤم والإحساس بالظلم والقهر وكثرة الفواجع.

نفس يبدو جليّا تعلّقها الشّديد بأرض الإسلام (بلنسية) ومناجاتها لكل ما ترى فيه قوّة قد تبطش بالأعداء (الأعاجم، الصليب) بداية بالله تعالى ووصولا (لأبي زكريا الحفصي).

إنّ الشاعر في الأبيات الأخيرة يتفاءل ويعاوده الأمل فيرى في الخليفة ابي زكريا بشرى لأهل الأندلس قاطبة، فهو المرتقب بدفع الظلم عنها، وناسفا للأعاجم فهو ذو جيش لا يعدم الزّمن انتصاره.

فالشاعر قد انتقل من الرّثاء للمدح على عادة الشعراء القدامى، فهو يمدح ابي زكريا إذ يراه المؤهل لهذا الفتح والنّصر، وذلك من البيت (الواحد والستين إلى السابع والثمانين) حيث قال:

" خَضَعَت جَبَابِرَة الْمُلُوك لِعِزَّة ** ونضت بِكَفّ صِغَارُهَا خبلاءها"**

..... ** .....**

"قوم إلاّمِير فَمَن يَقُوم بماله ** مِنصَالِحَات أفحمت شعراءها"[1]**

لذلك وظّف الكناية عن صفة القوة والبطش في قوله:

قَبَضْت يَدَاهُ عَلَى البسيطة قَبْضِه ** قادت لَهُ فِي قَدَّه أمراءهَا**

فَعَلَى الْمَشَارِق وَالْمَغَارِب مُبْتَسِمٌ ** لهداه شَرَف وَسَمَه أسماءها**

تطمو بتونسها بِحَار جُيُوشِه ** فيزور زَاخِرٌ مُوَجِّهًا زوراءها[2]**

[1]. ابن الأبّار، المصدر السابق، ص 38– 40.

[2]. المصدر نفسه، ص 38.

وهي كناية فيها من المبالغة الشيء الكثير، فقد ملك هذا الخليفة الأرض بمشرقها ومغربها، ويذكر تونس التي كانت أرضه ووطنه كيف حماها بجيوش عظيمة.

يبدو أنّ الشاعر شديد التأثّر بأسلوب (ابي الطيب المتنبي) في مدائحه وميراثيه، فكأنّي بروح المتنبي تحوم في قصيدته (الحدث الحمراء).

أنظر للاستعارة المكنية والكناية القويّة عن قوّة هذا الخليفة وسطوته فقد ملك مشارق الأرض ومغاربها وبحرها وبرّها لم يفّ بجلاله وقوّة سلطانه فهو لا يتّسع لهما.

ورغم ذلك يختم الشاعر قصيدته طالبا الصّفح الجميل من الخليفة عن تقصيره في مدحه، فهو رغم كل هذا لم يستطع أن يحيط بمكرمات فضائل الخليفة، وقصائده تقف عاجزة من الإلمام بها، فاصفح عنّي وسامحني أيّها الخليفة الصّالح العظيم.

صَفْحًا جَمِيلًا أَيّهَا الْمَلِكُ الرِّضَى ** عَن مُحْكَمَاتٌ لَم نَطَق إحصاءها**

تَقِف الْقَوَافِي دُونَهُنّ حسيرة ** لَا عيها تُخْفِي ولَا اعباءها**

فَلَعَلّ علياكم تَسَامُحٌ رَاجِيًا ** إصغاءها وَمُؤَمّلًا إغضاءها**[1]

ب. قراءة موجزة في القصيدة: إنّ قصيدة ابن الأبّار من بحر الكامل.

نَادَتْكَ أَنْدَلُس فَلَبّ نِدَاءَهَا وَاجْعَلْ طَوَاغِيتَ الصَّلِيبِ فِدَاءَهَا

نَادَتْكَ أَنْدَلُسُنْ فَلَبْبِ نِدَاءَهَا وَجْعَلْ طَوَاغِيتَ صْصَلِيبِ فِدَاءَهَا

0//0/// 0//0/// 0//0/0/ 0//0/0/ 0//0/// 0//0///

مُتْفَاعِلُنْ/مُتَفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُنْ /مُتْفَاعِلُنْ /مُتْفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُنْ

جاءت على عادة الشعراء العبّاسيين تضم أكثر من غرض شعري واحد، ففيها (الرّثاء، والاستنجاد والمدح)، كثرت فيها المحسّنات البديعية مثل:

[1]. ابن الأبّار، المصدر السابق، ص 40.

- الطباق (المشارق/ المغارب)
- الجناس (أنباءها/ أبناءها)

إضافة إلى توظيف الشاعر الكثير من مفردات الطبيعة الأندلسية السّاحرة وهي سنّة سار عليها الأندلسيون من الشّعراء مثل:(الورقاء، الغيث، الرّبى، الجزيرة، الشدو، الظباء، الجوارح، البصر).

وظّف الشاعر المعاني الدينية أيضا حين استعان بالمفردات التالية: (الجهاد، الشرك، الصليب، الأعاجم، المؤمنين) كي يبين أنّ نصر الخليفة للأندلس هو نصرٌ للإسلام ضد الشرك.

لم يحد الشاعر من صور الخيال المعروفة فقد استعان بالاستعارة المكنية والكناية والتشبيه(كالغيث صبّ على البسيطة) حين شبّه الخليفة في نفعه بالغيث أينما حلّ نفع.

المطلب الثاني: الرثاء

رثى ابن الأبّار بلنسية في العديد من القصائد فقد كان سقوطها حدث أليم عليه.

1. مناسبة قصيدتي الرثاء:

كتب ابن الأبّار هذه القصائد عندما سقطت بلنسية على يد النّصارى، بعد أن حكمها المسلمون خمسة قرون.

وقد كتبها بعد قصيدته السّينية التي ألقاها على ابي زكريا يطلب منه الدّعم، ورغم تلبية ابي زكريا نداء الاستغاثة ببعثه للمدد والأموال والأسلحة مع أسطوله الحفصي، إلاّ أنّ القوّات الآراغونية منعته من إفراغ حمولته.

ومع هذا ضلّ زيّان يدافع عن بلنسية ضدّ الحصار الآراغوني إلى أن نقصت أعدادهم ونفذت الأقوات، استولى الجوع وضعفت القوى وبهذا اضطروا على رفع راية الاستسلام وتسليم بلنسية للنّصارى، بعد أن سطعت في شرقي الأندلس مدة خمسة قرون وربع قرن.

وقد أذكت محنة سقوط بلنسية فجيعة الشّعر والنّثر في الأندلس فجاءت في رثائها العديد من الأشعار، منها قصائد ابن الأبّار.

2. قصيدتي الرثاء:

تناولنا في هذا الغرض قصيدتين هما:

2-1- قصيدة ملكت جوارحه: سندرسها من ناحيتين هما:

أ. **مضمون القصيدة:** إنّ الرثاء هو ترنيمة الحزن الصادق التي يردّدها الأسى على أوتار القلوب الحزينة وهو من أقدم الفنون الشعرية وأصدقها لكونها مرتبطة بحقيقة بديهية، مادام هناك موت ورحيل ولقد ذاع صيت رثاء المدن في جميع أنحاء الوطن العربي فهو يمثل لون من ألوان التّعبير ومظهر من مظاهر التجديد.

وقد اشتهرت الأندلس بهذا الفن فأجاده الشعراء في ذلك العصر بسبب طبيعة الانقلابات السياسية التي اجتاحت المراحل المختلفة لعصور الحكم، لهذا كان لأَسلافنا تعريف له فالرثاء عندهم: "قول الشعر في المرثي والبكاء عليه وندبه"[1]

وهو أنواع منها رثاء الميت والمدن والممالك، لكن تميُّز العصر الأندلسي به كان نتاج الظّروف القاسية المليئة بالأسى واللّوعة فحرّكت في نفوسهم أصدق المعاني وأجمل الأحاسيس والمشاعر، ساعدتهم في نسج ثياب الحزن ألبسوها مدنهم ومماليكهم، فمنهم ابن

[1]. فدوى عبد الرحيم قاسم، الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، 2002م، ص34.

الأبّار الذي ندب بلاده عندما سقطت على يد النّصارى نجد منها قصيدة مطلعها: "مَلَكَتْ جَوَارِحَهُ عَلَيْهِ جِرَاحُهُ"[1]

ويقصد الشاعر بهذه القصيدة أنّه عندما عدمت الأندلس من يحميها تسلط عليها العدو الآراغوني، فالمعروف أنّ بلنسية طلبت واستنجدت من الأمير الحفصي إلاّ أنّ موقف ابي زكريا كان صعب لعدم ملائمته لخطورة الوضع ممّا لم تأتي محاولاته بنتيجة لاستدراك ذلك الانهيار، فلا يمكن الإنقاذ إلاّ بالقضاء على أصل ومنبع الفساد وهذا لا يمكن إلاّ بإزالة رؤوس الفساد، وبما أنّ هذا فوق مقدور ابي زكريا فكان كل ما فعله هو إمداد بلنسية بمجموعة من السفن المشحونة بالطّعام والسّلاح لكن لم يُجْدِ ذلك نفع، وبقيت تقاوم وحدها إلى أن سقطت على يد النّصارى فرثاها ابن الأبّار قائلا:

مَلَكَت جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ جِرَاحَةٌ ** فَشِفاؤُه لَا يُرْتَجَى وسِراطُه**

عَارٌ لأَبْكارِ الْخُطُوبِ وعُوفِها ** غِيضَت مَوَارِدِه وهِيضَ جَنَاحِه**

لَمْ يَعْتَرِضْهُ مَساؤُه بِمُسَاءَةٍ ** إلاّ وضَاعَفَها عَلَيْه صَبَاحُهُ"[2]**

ففي هذه الأبيات يتكلم عن كيف تملّكت النصارى بلنسية ولم يبقى فيها إلاّ الجراح التي لا يمكن أن تشفى ولا يرتقب ويؤتمل سراحها.

فعارٌ على انتهاء الكلام والمساعدة ويقصد بهم أمراء الأندلس والأمير الحفصي، الذين خاب أمل البلنسيين فيهم، فلم يساعدوا ويناضلوا من أجل نجدة بلنسية حيث توقفوا عن الدّعم وحتّى الكلام عليها؛ أي الدّفاع عنها بالكلام قد توقف ونسوها، فذهبت كل هذه الموارد فلانت واضمحلت تماما.

---

[1]. ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص131.

[2]. المصدر نفسه، ص 131.

ثم تطرق كيف أنّه لم تعرقلة مصيبة وبلاء في المساء إلاّ وتضاعفت في صباحها. ثم قال في هذين البيتين:

"حَسَرَ الْعِمَامَةَ حَسْرَة لِعُمُومِهَا ** بَلْوَى أَشاد بِشَكْوَى إِفْصاحِه**
وَحَدِيثُه كَمَدّ عَنْ إلآفُق الَّذِي ** تَصِف الْجِنَأن قلاعه وبطامه**
تَجْرِي حَثِيثًا تَحْتَه أنهَارُه ** وتميس لَيِّنًا فَوْقَه أدواحه"[1]**

تكلم هنا عن كيف خلع ابي زكريا العمامة وكشف عن رأسه وهي صورة بيانية يقصد بها أنّه أجهر على سحب قوّاته ودعمه للبلاد فهي كناية حيث عبّر عن عدم مساعدته وتصريحه بسحب دعمه بلفظ غير صريح وهو "حسر العمامة"، أي كشف على رأسه ولم يقصد الكشف عن الرأس إنما الكشف عن عدم تقديم العون مرّة أخرى فأشاد به.

ثم وصف التّلاع وكيف ينزل ماء النهر من أعالي قمة الواد على البطاح؛ أي الأرض المنبطحة، وكيف أنّ النهر يجري تحته والأشجار الكبيرة تلمسه أي تلمس الماء وهو نازل من أعلى الواد.

شخّص الشّجرة بالإنسان لإعطاء بعد جمالي للقصيدة فالإنسان هو من يلمس لا الأشجار (الجمادات) وهي استعارة مكنية: حيث ذكر المشبّه وهي الشجرة الضّخمة (أدواحه) ونزع المشبّه به وهو الإنسان وصرّح بشيء من لوازمه "اللمس".

ثم ختم قصيدته بيتين يتأسف بهما عن الوضع الذي آلت إليه بلنسية وآل إليه الإسلام فقال:

"قد أَسْلَم الإسلام فِيهِ إِلَى الْهُدَى ** فأساه بَرِح لَا يُتَاح بِرَاحَة**
لِمَا تَحْجُب فِي النَّوَى مَنْصُورَة ** أنحَى عَلَيْهِ بِسَيْفِه سفاحه "[2]**

---

[1]. ابن الأبّار، المصدر السابق، ص131.

[2]. المصدر نفسه، ص131.

ويقصد بها أنّ الإسلام قد زهد به وقدّم على طبق من ذهب إلى الأعداء، فأصابته شدة لم تتح من قبل وذلك عندما تستّر وتوقّف منصوره وهنا يقصد ابي زكريا عن تقديم الدّعم له وبذلك اشتغل الفونسو ذلك فسلَّ سيفه عليه وانهال على الإسلام والمسلمين في بلنسية فالسفّاح هنا: هو الفونسو ملك آراغون النّصاري.

ب. قراءة موجزة في القصيدة:

- **نمط القصيدة:** وصفي يتضمن الإخبار
- **الفكرة العامة:** ندب بلنسية

-الأفكار الجزئية:

- خيبة البلنسيين في مناصريهم وانتهاء أملهم برجوعها
- وصف طبيعة بلنسية ونهرها
- تسليم الإسلام للعدو بسبب غدر الخليفة
- نلمس وحدة الموضوع في القصيدة فهو بنية متكاملة، حيث بنى الشاعر قصيدته من بحر الكامل.

مَلَكَتْ جَوَارِحَهُ عَلَيْهِ جِرَاحُهُ فَشِفَاؤُهُ لَا يُرْتَجَى وسَرَاحُهُ

مَلَكَتْ جَوَارِحَهُو عَلَيْهِ جِرَاحُهُو فَشِفَاؤُهُو لَا يُرْتَجَى وَسَرَاحُهُو

0//0/// 0//0///0// 0/// 0//0/// 0//0/0/ 0//0///

مُتَفَاعِلُــنْ/مُتَفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ /مُتْفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُنْ

وظّف الألفاظ التي تدل على خيبة الأمل في الحلفاء والمناصرين "عارٌ لأبكار الخطوب"، " لما تحجب في النّوى منصوره"، "حسر العمامة"

ووظّف الألفاظ الدالة على اليأس والألم والفقدان "لا يرتجى"، "جراحه"، سراحه"، كمد"، "أنحى عليه بسيفه"،"لابتاح"، كل هذا جاء ليدل على كمية الألم المتواجدة بداخل البلنسيين وحزنهم الشّديد على بلدهم.

شخّص الإسلام حيث قال بأنّه أسلم فالإسلام معنوي والذي يسلم هو الإنسان وذلك من أجل إضفاء ألم في النفس التي تقرأ وليبين مدى حزنه على ضياع بلاده.

وظّف في آخر بيت "لمّا" الظرفية (ظرف زمان) التي تستدعي جوابا، فجاء الجواب فعلا ماضيا وهو أنحى وذلك من أجل تبيين سبب الهزيمة النّكراء لبلنسية وهو غدر المنصور؛ أي ابي زكريا وبمعنى أدق قلّة حيلته، وعدم المساعدة بالطّريقة المطلوبة والمفروض تقديمها.

2-2- قصيدة لا تصدو:

"لَا تَصَدَّوْا فَرُبَّمَا مَاتَ صَدَأٌ	****	مُسْتَهام لِسَلْوَة مَا تَصَدَّى
جَعَل السَّهْد فِي رِضَاكُم كَرَاه	****	وَاكْتَسَى فِي هَوَاكُم السَّقَم بَرْدًا
رَام أن يُخْفِيَ الْغَرَام وَلَكِنْ	****	لَمْ يَجِدْ مَنْ إبْدَاء خَافِيَةٌ بَدَأ
كُلَّمَا هَبَّتْ الصِّبَا ذَكَر الشوق	****	فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ شَوْقا وَوَجَدَا
وَإِذَا بَارِق تَأَلَّق فِي الْمِزن	****	حَكَى ذَا وَذَاك ودقا ووقدا
يَا سَقَى اللَّهُ للرصافة عَهْدًا	****	كنسيم الصِّبَا يَرِقّ ويندى
وجنأنا فِيهَا أهْيَم حَنَأنا	****	بَيْدَ أني حَرَّمْت فِيهِنّ خلدا
مستهلا كأدمعي يَوْم وَدَعَت	****	تَرَاهَا النفاح مِسْكًا وَنَدًا
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْر	****	عَيْشًا يَشْهَد الطَّيِّب أنهُ إنّما شَهِدَا
ومجالاّ لِرَوْضَة مِنْ غَدِير	****	شقني لِلْمُرَاد فِيهَا مُرْدًا
حَيْث كُنَّا نغازل النرجس الفض	****	جفونا ونهصر إلاّس قَدَّا

وتناغي الْحَدَائِق الْعَيْن إِدَّابَا ** كَمَا تَنَضُّد إلآزاهر نضدا**

تَحْت لَيْل مِنْ حسَنَةٍ كَنَهَار ** قَطُّ مِنْ صِيغَةِ الشَّبَاب وَقَدَّا**

وَالثُّرَيَّا بِجَانب الْبَيْت تَحْكِي ** رَاحَةٌ أَو مَأن لتلطم خدا"[1]**

أ. **قراءة موجزة في القصيدة:** هذه القصيدة من بحر الخفيف في ندب (بلنسية)، لكنّها للوهلة الأولى تبدو في النّسيب الرقيق على غرار قصائد ابن زيدون في حبّه لولادة بنت المستكفي حين يمزج الغزل والشكوى من الفراق ولوعة الحب بجمال الطّبيعة قائلا:

"إني ذَكَرْتُك بالزهراء مُشْتَاقًا ** وَإلآفُق طَلَّق وَمَرْأَى الأرض قَدْ راقا**

وللنسيم اعْتِلالٌ فِي أصائله ** إنّماه رَقّ لِي فاعتل إِشْفَاقًا"[2]**

فالأبيات الأولى جاءت شكوى من فراق الحبيب وصدّه، والاكتواء بنار الشوق مازجا بين القاموس الغزلي "المستهام- السّهد- الهوى- الغرام- الصّبا- الشوق- الوجد- الكره- السّقم..."، وبين قاموس الطبيعة الخلاّبة على عادة شعراء الأندلس "المزن- الودق- النرجس- الحدائق- الأزاهر- البدر- الروضة- الحسن- الشهد- المسك- الطيب- الغدير".

لينتقل بعد ذلك للحديث عن (الرّصافة)، ويدعو لها بالسقيا على عادة الشعراء الجاهليّين والعباسيّين، حين يتذكّر عهدا قضاه بها، وينتابه الحنين والوجد ويشبهها بالجنان لكنها تخلو من الخلد، الأمر هنا يستدعي بكاءه وحزنه (مستهلاّ كأدمعي) ثم يتساءل في البيت التاسع (هل يرجع الدّهر).

إنّه استفهام ذو غرض بلاغي يحمل معنى الألم والحزن والحسرة على ماض رائع عاشه بين أحضان الأندلس في رياضها وحدائقها، بين نرجسها وزهرها، حتى ليلها بجماله يتحدّى النّهار حسنا، فما أروع لياليها ونحن شباب نشرب تحت ضوء البدر.

[1] .ابن الأبّار، المصدر السابق، ص175-176.

[2] .مؤلف مجهول، إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا، www.diwanalarab.com ، 9جوان 2022، 4:08 صباحا.

فالتّشبيه على بساطته (تحت ليل من حسنه كنهار)، إلاّ أنّه يشمل كناية راقية على حسن ماله من نظير، فالبدر قد أحال اللّيل نهارا.

ينتقل الشاعر في باقي الأبيات للغرض الأصلي للقصيدة(ندب بلنسية) فيتأسّف لما يحدث لها، ويبكي فراق الأهل والأحبّة ويتحسّر على الشمل الذي مزّقته (الرّزايا والحروب) فتنطلق دموعه دونما توقف، ويتساءل في يأس (إلى من أشتكي صنع اللّيالي؟) ويفسح المجال لزفرات النّفس ويدعو الله أن يرأف بهذه القلوب التي مّزقها الألم وقضى عليها الفراق.

فبعد شهرة وعزّة أضحت ذليلة كسيرة، لكنّه يأمل في العودة يوما لكنّه أمل كاذب فهو يدرك أنّ لا أمل في العودة إلاّ لسفيه لا يقدّر ما يحدث حوله حق القدر.

لقد تعدّدت الأغراض الشعرية في هذه القصيدة من(غزل وشكوى، ووصف للطبيعة، وبين ندب الرّصافة والتفجّع لما أصابها والتحسر على فراق الأهل والأحبة واليأس من عودة الأمور كما كانت)، بلغة سهلة اللّفظ، راقية المعاني، قويّة العاطفة، صادقة الإحساس لأبعد الحدود.

لا تختلف هذه القصيدة عن شعر المراثي الذي شاع في عهد الأندلس على غرار قصيدة "ابي البقاء الرندي" في رثاء الأندلس بشكل عام.

"فرصافة الأندلس" بضاحية قرطبة وإطلالتها على الوادي الكبير، لم يختلف أمرها عن باقي ممالك الأندلس ومدنها في القرن السابع هجري، ولم يعد للملوك من طاقة لحماية عروشهم، وجاءت قرائح الشعراء تلوى بعضها تصف الألم والصّرخة والحزن على ضياع جزء من نفوسهم وذكرياتهم، وليس مجرّد أرض فقط، جاءت هذه القصيدة من بحر الخفيف:

لَا تَصُدُّوا فَرُبَّمَا مَاتَ صَدًّا مُسْتَهامٌ لِسَلْوَةٍ مَا تَصَدَّى

لَا تَصُدُوفَرُبْمَا مَاتَ صَدْدَا مُسْتَهَامُنْ لِسَلْوَتِنْ مَا تَصَدْدَى

0/0//0/ 0//0// 0/0//0/ 0/0//0/ 0//0// 0/0//0/

فَاعِلَاتُنْ /مُتَفْعِلُنْ /فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ /مُتَفْعِلُن /فَاعِلَاتُنْ

المبحث الثاني: الوصف والشوق في شعر ابن الأبّار

وصف الشاعر الطبيعة البلنسية وصفا دقيقا وذلك راجع لمدى شوقه لوطنه المحروم منه.

المطلب الأول: الوصف.

عُرف الوصف بأنّه: "تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق"[1]

1. مناسبة قصيدتي الوصف:

لقد عدّد ابن الأبّار في نظم قصائد شعر الوصف لمدينته بلنسية وطبيعتها الخلّابة، وذلك راجع لمدى شوقه وحنينه لها، وبالأخص في مرحلة صباه، حيث كان يقطنها مع والده ويتجوّل في ربوعها، وبالرّغم من أنّه رحل منها صغيرا إلّا أنّ حبّه لوطنه كبير، هذا ما دفعه للتّوغل في الوصف لكلّ منطقة كانت له فيها ذكريات جميلة وحتّى الحزينة منها.

2. قصيدتي الوصف:

تطرقنا إلى قصيدتين في غرض الوصف:

2-1- قصيدة في وصف النهر: يقول في وصف نهرٍ فاء عليه ظل الدّوح:

وَنَهْرٌ كَمَا ذَابَت بسائك فِضَّة ** حكَت بمحأنيه أنعِطَاف إلاّرَاقِم**
إذَا الشَّفَق اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اِحْمِرَارُه ** بدى خضيبا مِثْل دامِي الصَّوَارِم**
وَتَحْسِبُه سُنَّت عَلَيْه مُفَاضَة ** لِإِرْهَاب هِبَاب الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ**

[1]. عبد العزيز علي قناوي، الوصف في الشعر العربي، مكتبة العرب، مصر، ط1، 1949م، ج1، ص43.

وَتُطْلِعُه فِي دكنة بَعْد زُرْقَة ** ظِلال لأدواح عَلَيْهَا نواعم**

كَمَا أنفَجَر الْفَجْر الْمَطْل عَلَى الدُّجَى ** وَمَنْ دُونَهُ فِي الْأُفُق سحم الغَمائِم**[1]

أ. **مضمون القصيدة:** إنّ من بين أهم المناطق التي كانت لها مكانة عند الأبّار نجد النهر، وذلك لما يعطيه من راحة نفسية و منظر جميل، فنظم فيه قصيدة وصفها وصفا دقيقا حينما تشرق فيه الشمس وتؤول إلى الزوال.

فشبّهه في البيت الأوّل بقطعة الفضة المذابة التي أُفرغت في قالب ويقصد هنا أنّ لمعان النهر كلمعان المعادن المنصهرة في حيِّز، فمثلها مثل النهر اللامع المحدود المساحة.

ثم يواصل ليرسم لنا صورة واضحة عن منظر الغروب في النهر، وهو عندما يستولي الضوء الأحمر الذي ينتج عن غروبها فيبدوا لنا كأنه دم ملطخ ناتج عن حروب دامية في ساحات القتال.

لتظهر لنا ضلال الأشجار الضخمة في الظلمة والتي تتلامس بلين مع مياه النهر المنهمرة من التِّلاع.

أمّا في آخر البيت وصف حالة الشروق حينما تنبعث الشمس المطلة على سواد اللّيل فتظهر من بعيد كأنّ النهر والأرض التقيا فشكّلوا دائرة كاملة، مما يؤدي إلى ظهور الغيوم البيضاء باللّون الأسود القاتم.

ب. قراءة موجزة في القصيدة:

- **نمط القصيدة:** وصفي يتضمن الإخبار
- **الفكرة العامة:** وصف الشاعر جمال النهر لحظة شروق الشمس وغروبها.
- **الصورة الشعرية:** تتضمن الصورة الشعرية نوعين من الصور الأول يسمى خيال كلي والثاني يسمى خيال جزئي، ويظهر لنا من خلال هذه الأبيات أنّ القصيدة تنتمي للخيال

[1] ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص291-292.

الجزئي وذلك لأنّ القصيدة تحتوي على الصور البلاغية الجزئية كالتّشبيه مثلا عند قوله:" ونهرا كما ذابت سبائك فضة" هنا شبه الشاعر النهر كذوبان قطع الحلي والفضّة، وكذلك في قوله:

" **إِذَا الشَّفَقُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ احْمِرَارُهُ **** تَبَدَّى خَضِيبًا مِثْلُ دَامِي الصَّوَارِمِ**"

هنا شبَّه ضوء غروب الشمس بالدّم الملطخ الذي ينتج عن الحروب. وأكثر من الطباق نذكر:" ليلها ونهارها"، "أجيء وأذهب"

- **البنية الإيقاعية:** وهي نوعين:

- **الإيقاع الخارجي:** وبانتقالنا إلى البنية الإيقاعية وبالضبط الإيقاع الخارجي نجد الشاعر قد عمد إلى توظيف البحر "الطويل" في قصيدته لوصف النهر.

- **تقطيع البيت:**

وَنَهْرٍ كَمَا ذَابَتْ سَبَائِكُ فِضَّةٍ حَكَتْ بِمَحَانِيهِ انْعِطَافَ الأَرَاقِمِ

وَنَهْرِنْ كَمَا ذَابَتْ سَبَائِكُ فِضْضَتِنْ حَكَتْ بِمَحَانِيهِنْعِطَافُلْأَرَاقِمِي

0//0// 0/0// 0 /0/0// /0// 0//0// /0// 0/0/0// 0/0//

فَعُولُنْ /مَفَاعِيلُنْ /فَعُولُ /مَفَاعِلُنْ فَعُولُ /مَفَاعِيلُنْ /فَعُولُنْ /مَفَاعِلُنْ

- **القافية والروي:** استعمل الشاعر قافية موحدة (0//0/) وروي موحد أيضا (الميم)

- **الإيقاع الداخلي:** أمّا الإيقاع الداخلي فنجد الشاعر عمد إلى التكرار الصوتي في القصيدة.

فقد كرّر حرف "الميم" وهو حرف متوسط الشدة والرخاوة، ولا شك أنّ تكرار هذا الحرف له دلالته، وبما أنّه حرف مجهور فقد أكثر الشاعر من استعماله لإعطاء القوة والحدة في القصيدة ولما له من جرس موسيقي متناغم، فالمعروف أنّ العرب القدامى كانوا يختارون

الألفاظ المجهورة ليبيّنوا كلامهم ويسمعوه، وذلك راجع لعيشهم في الفراغ والخلاء حيث يضيع الصوت المهموس.

- **الأسلوب: (المفردات والتركيب):** بالنسبة للمفردات التي وظّفها الشاعر في قصيدته نذكر منها مع الشرح:
  - الأراقم: الحيّات.
  - الشّفق: وهو الضوء الأحمر الذي يظهر في جهة الغرب بعد غروب الشمس.
  - دامي الصّوارم: الدم الذي يسيل من السيف في الحرب.
  - دكنه: سواده
  - زرقة: لون السماء حين تكون خالية من الغيوم.
  - الأدواح: الشجرة الضخمة المشعبة ذات الفروع الممتدة.

أما بالنسبة لأسلوب الشاعر في نظم قصيدته فقد كان اختياره للألفاظ دقيقا يتماشى مع وصف المكان، فكانت ألفاظه سهلة تعبر بدقة وتخدم الموضوع، والحكمة من هذا النص الشعري هو التعرف على جمال هذا النهر المتواجد في بلنسية خاصة وطبيعة الأندلس عامة فقد صوّره لنا ابن الأبّار من كل نواحيه بأبيات تجذب القارئ وتجعله يتخيل ذلك المكان، كما أنّ هناك العديد من الشعراء الذين تغنوا بطبيعة الأندلس وأنهارها وبساتينها حتى أصبح يطلق عن هذا الشعر بشعر الطبيعة.

2-2- قصيدة في وصف الرّصافة لابن الأبّار:

مَا لِلْهَوَى إلاّ الرُّصَافَة مَأْرِب ** بَعْد الْغَدِير فَكَيْف يَصْفُو مُشْرَب**

عأنا مُرَاد للنعيم وموردا ** إِذْ كُنْتَ بَيْنَهُمَا أجيئ وَأَذْهَب**

وَإلاّلف لِلْمِيعَاد بِي مُتَرَقِّب ** وَالدَّهْر بِالاّستعاد لِي متقرب**

وتلاعبت أَيْدِي النَّوَى بِهِمَا ** وَبِيحَتَّى أنقَضَى لَعِب وَأُقْفِر مَلْعَب**

وَلِلَّه أَسْعَار بِهَا وَأَصَائِل ** إنّمات تفضض صَبَغَه وَتَذْهَب**

وَإنّماكَافُورًا ومسكا لَيْلُهَا ** ونهارها، مِمَّا يَرُوق وَيَعْجَب**

يَزْدَاد حَسَنًا صُبْحِهَا بروأنها ** وَيَكَاد يُشَرِّق مِن نساها الغيهب**

تِلْك المغأني لأحجبين، كأهلها ** عَنِّي فوجدي سَافَرَ لَا يَحْجُبُ**

وَلِعُمَر مَا أنفقَتْ مِنْ عُمْرِي بِهَا ** وجنيت مِنْ ثَمَرَاتِ عَيْش يُعَذَّب**

ولأغلبن عَلَى السُّلُوّ صبابتي ** وَالشَّوْق فِي كُلِّ الْمَوَاطِن أَغْلَب**

ولأندبن بِهَا الشَّبَاب وشرحه ** أن الشَّبَابَ أَحَقّ فِي أن يُنْدَبَ**

ساحات حَسَنٌ طَرَّزَت أَوْقَاتِهَا ** سَاعَات أنس رَدَّهَا مُسْتَصْعَبٌ**[1]

أ. مضمون القصيدة:

استهل الشاعر قصيدته بوصف المكان المحبّب والأقرب إلى قلبه ألا وهو الرصافة والغدير، إذ كان يعتبرهما النّعيم الذي يؤنسه ويرتاح فيه حيث كان يتناوب في زيارتهما من حين إلى أخر فاعتاد على ذلك المكان حيث تلاعب به البعد إلى أن بدا له أنّ كل شيء حوله خالي، كما قد ذكر أنّ الله قد ميّزها ومدّها بأماكن ساحرة وأصيلة، وقد كانت تطلى باللون الفضي والذّهبي، ووصف ليلها الذي سحره بروائحه العطرة التي تشبه المسك والكافور، ونهارها الجميل الذي يروق للإنسان ففي صباحها يزداد المظهر جمالا، وفي آخر بيتين تحسّر على شبابه فهو بالنسبة له أكثر شيء يستحق النّدب والحزن والتحسر.

ب. قراءة موجزة في القصيدة:

- **نمط القصيدة:** وصفي يتضمن الإخبار
- **الفكرة العامة:** وصف الشاعر جمال الرصافة وحنينه لها.
- **الأفكار الجزئية:** وتكمن في:

[1]. ابن الأبّار، المصدر السابق، ص59– 60.

- وصف الشاعر للرصافة وتعلقه الشديد بها فلا يحلو له بعد الغدير غيرها.
- وصف جمال الرصافة وجمال ليلها ونهارها.
- شوق الشاعر وحنينه لمكانه في الرصافة.
- ندب الشاعر حظه وشبابه على فراقها.

- **الصورة الشعرية:** تتمثل الصورة الشعرية في هذه القصيدة من خلال ما يظهر في أبياتها، أنّ الشاعر اعتمد على الخيال الجزئي لما تحتويه من صور بلاغية عديدة مثل التشبيه في قوله: "وكأنّ كافورا ومسكا ليلها" حيث هنا شبّه ليلها بالعطر ذو الرائحة الجميلة، ففي الليل تنبعث في شوارعها روائح الزهور كزهرة الياسمين.

أمّا الاستعارة المكنية تظهر في قوله: "وتلاعبت أيدي النّوى بهما وبي"، هنا ذكر المشبه وهو النّوى وحذف المشبّه به وهو الإنسان وترك لازما من لوازمه ألا وهو التّلاعب بالأيدي على سبيل الاستعارة المكنية، فالبعد لا يتلاعب باليد إنّما الإنسان، فاستعار ذلك قاصدا ومبينا أنّه كان متأمل في العودة للديار خاصة الرصافة والغدير التي كانت له فيهما ذكريات جميلة، ومترقب ذلك لكنه كان أمل وحلم ساذج لاستحالته.

- **الإيقاع الخارجي:** كما وضّحنا سابقا أنّه يعنى بشكل القصيدة من حيث البحر والتفعيلات والوزن والقافية وحرف الروي، ففي هذه القصيدة بنى الشاعر أبياتها من "بحر الكامل"
- **تقطيع البيت:**

مَا لِلْهَوَى إِلَّا الرُّصَافَةَ مَأرَبُ بَعْدَ الْغَدِيرِ فَكَيْفَ يَصْفُو مَشْرَبُ

مَالِلْهَوَى إِلْلَا رْرُصَافَةَ مَأْرَبُو بَعْدَ لْغَدِيرِ فَكَيْفَ يَصْفُو مَشْرَبُو

0//0/// 0//0/0/ 0//0/0/ 0//0/0/ 0//0/// 0//0/ 0/

مُتْفَاعِلُن /مُتْفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُنْ /مُتْفَاعِلُنْ

- **القافية والروي:** في هذه القصيدة أيضا استعمل الشاعر قافية موحدة (0//0/) وروي موحد كذلك وهو حرف (الباء)
- **الإيقاع الداخلي:** بالنسبة للإيقاع الداخلي نجد الشاعر كرّر بعض الحروف في القصيدة منها: (ر- د- ب)، فأعطت تناسق في القصيدة وحس إيقاعي جميل وأضافت قوّة للقصيدة ومعنى بالغ الأثر، فالحروف الجهرية أهم ما يميزها هي الحدّة لذا أكثر الشاعر من استعمالها للإسماع وتقوية المعنى وبروزه.

استعمل الكلمات الّتي تدل على الشوق والحنين "ما للهوى، والأُلف للميعاد، الدهر بالإسعاد لي متقرب، والشوق في كل المواطن، ساعات أُنسٍ".

- **الأسلوب:** استعمل الشاعر الأسلوب الوصفي فرسم لنا لوحة فنية فائقة الجمال عن الرصافة، وصوّر مشاهد حيّة فيها ووصف جمالها وتعلقه الشديد بها وما تمر به من خواطر ومواقف، فتأتي القصيدة بما تحويه نفسه من حب وألم وشوق، وبهذا تكون الصورة متغيرة بتغير ألوان الشعور الشعري والعاطفي لديه، لذلك اعتمد القيادة الوصفية على الدوافع النفسية وتأثيراتها في الاستعارات والتشبيهات البلاغية، فكانت يد الشاعر مزخرفة ومنمّقة للقصيدة فعمد لصقلها بما يحمل من شاعرية حيث بدت مرآة عاكسة لجمال الرصافة وروح الشاعر، أما بالنسبة لانتقائه للألفاظ كان إنتقاءا دقيقا وواضحا لكي لا يمل القارئ بل جعله يتخيل ويعيش أحداث تلك الصورة بمخيلته، وبهذا فإن " الوصف في عرف القدماء هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات (...)، وخصوا الوصف بالحيوان والنبات والأرض والماء والنار السماء"[1].

[1]. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط2، 1999م، ج1، ص883.

المطلب الثاني: الشوق.

هو "توقان النفس، والحنين بمعنى الصوت وبمعنى الشوق متقاربان، بل متلازمان، لأن توقان النفس إلى الشيء، وشوقها إليه يكون غالبا مصحوبا بصوت ما"[1]

1. مناسبة قصيدة الشوق:

أهم ما عرف به ابن الأبّار في حياته هو التجوال، حيث أدمن الترحال منذ سنّ مبكّرة، من أجل الاستزادة في طلب العلم.

وقد كان لابن الأبّار مغامرات سياسيّة كثيرة فنجده "التجأ مع سيّده المخلوع هذا إلى بلاد النّصارى (...)، وبالرّغم من العناية الّتي حظي بها ابن الأبّار إلى جانب الحاكم الموحّدي، لكنّه سرعان ما استدرك الموقف ورجع إلى الأندلس بعد أن تأكّدت له خيانة الحاكم الّذي ارتدّ عن الإسلام".[2]

هذا ما دفعه للرّجوع إلى بلده الّتي غادرها "معتذرا من الحاكم الجديد ابي جميل زيّان الّذي أطاح بالحاكم السّابق، حيث استقبله زيّان استقبالا حسنا "[3]

ولم يلبث ابن الأبّار في بلنسية مدّة طويلة حتى حاصرتها القوّات الآراغونية، فأرسله ابي جميل زيان على رأس وفد لطلب الدّعم من الخليفة الحفصي ابي زكريا، فكان ردّ الخليفة الحفصي سريع في تقديم الدّعم اللازم، إلاّ أنّ القوّات الآراغونية منعت كل المساعدات ممّا أدّى ذلك إلى سقوطها.

---

[1]. محمد عبد المنعم محمد قباجة، الغربة والحنين إلى الديار، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الخليل، 2008 م، ص02.

[2]. ينظر: حميد طريفة، ابن الأبّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، ص 69.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

هنا أدرك ابن الأبّار "أنّ الغزاة سيواصلون هجماتهم على المدن الإسلاميّة الباقية (...)، فعزم على الهجرة بأسرته إلى تونس، وكانت هذه الرّحلة آخر عهد ابن الأبّار بالأندلس الّتي بكاها في شعره وتحسّر على ضياعها"[1].

الدّارس لحياة ابن الأبّار يجد أنّ معظم عمره كان متغرّبا عن وطنه بالأخص عندما هجرها حينما اشتدّت فيها التوتّرات السياسيّة.

هذا هو الدافع الأساسي الذي جعله ينظم عدّة قصائد في الشّوق فقد بقي دائم الحنين إلى مرابعها.

2. قصيدة الشوق:

درسنا هذه القصيدة من جانبين هما مضمون القصيدة وقراءة موجزة فيها.

2-1- قصيدة في صباه:

مَا حَالَ مِنْ جُثْمَانه وفؤاده ** قَد عَأن فِيه نُحُولِه وجواده**

غُرِّي الْغَرَام بِه فَحَيْث هجوعه** مِنْ قِبَلِ أن يَهْوَى فَثَمّ شَهَادَة**

فتضرمت مِن لَوْعَة أنفَاسَه ** ونصرمت فِي حَسْرَة آماده**

وَإنّمامَا صَوْب العهاد دُمُوعُه ** وَإنّمامَا شَوْك الْقَتَاد مهاده**

وَاهًا لَهُ مِنْ مُفْرَدٍ بنحيبه ** لَوْ إنّما يَجْمَعُ شَمِلَه أَفْرَادِه**

يَرْتَاح لروض المشوق حَمَامَةٌ ** ويحن لِلْبَرْق الخفوق فُؤَادُه**

وَيَبِيت بَيْن شَوْقٌ يقتاده ** وَلْعًا وَبَيْن ثَار ق يَعْتَادُه**

وَالنَّجْم يُسْعِدُه عَلَى خُلُقِ الْكَرَى ** وَمِنَ الشَّقَاوَةِ فِي الْهَوَى إِسْعادِه**

وَهُنَاك يُنْكِرُه الضُّحَى وَبَيَاضُه ** وَهُنَاك يَعْرِفُه الدُّجَى وَسَوَادِه**

[1]. ينظر: حميد طريفة، المرجع السابق، ص 72-73.

قَصُرَت مَسَافَة عُمْرَة حسناوه ** فأطالت البُشْرَى بِه حُسَّادُه**

وغدت تشوب بِه الْمَوَدَّة بالعلى ** وَهُو الصَّرِيح صَفَاؤُه وَرِدَاؤُه**

حَجَزْت أَصَابَه نَفْسِهوغليله ** وأنينه وعويله إشْهَادُه**

وَلَقَدِيَسَّر لِأنه يَا وَيْلَهُ ** أنحُمّ عَن لحظاتها اسْتِشْهَادِه**

لَا تعذلوه عَنْ الْهَوَى فَمَدَارُه ** وَكَفَاه عُذْرًا حَيْث طَاب مُرَادُه**[1]

أ. **مضمون القصيدة:** استهلّ الشّاعر قصيدته يشكو فيها لوعة الفراق وألم الحنين للديار، فتساءل في البيت الأول عن حاله وكيف تمكّن النحول من جسده والشوق من قلبه، وبذلك اشتعلت الحرقة في نفسه، وانقضى انتظاره في حسرة.

هذا كله راجع لمدى تعلق الشاعر ببلده التي تربى وترعرع فيها، فقد بقيت كل ذكريات صباه عالقة في ذهنه.

ثم واصل قصيدته يصف الأماكن التي كانت أنسه وصفا دقيقا نابعا من القلب، فهو يرى أنّ تدوينه لشعره هو السّبيل الوحيد الذي يطفئ قليلا من هذا الألم، فيراه كالتخذير الموضعي.

استعمل التشبيه في هذه القصيدة فشبه دموعه بالمطر الذي ينزل أول السنة وفراشه (الأرض الخضراء المنبسطة الناعمة)، التي طالما استلقى فيها ليريح نفسه من تعب الحياة بشوك نبتة القتاد.

فقلبه يحن لأيام مضت حتى أبسطها كحنينه لرؤية البرق والحمام، وسماع صوت هديله عندما يكون متواجد في الأرواض.

[1] ابن الأبّار، ديوان ابن الأبّار، ص174.

هذا الحنين والألم جعل ابن الأبّار يبيت بين نارين نار الشوق الذي تعلّق به، وأرق النوم الذي اعتاد عليه، ثم يواصل وصف الألم الذي أنهك روحه وخرّ قواه ليختم قصيدته من أجل تبرير هذا الفائض من الألم والحب لوطنه؛ بأنّ عذره الوحيد هو تهيُّج الشوق في قلبه حيث أصبح كل همه العودة للديار فكفاه ما قاساه من عذاب الهجر والفراق.

ب. قراءة موجزة في القصيدة:

- **نمط القصيدة:** وصفي يتضمن الإخبار
- **الفكرة العامة:** حزن وشوق الشاعر لوطنه.
- **الأفكار الجزئية:** وتتمثل في:
  - يشكو الشاعر حاله الذي وصل إليه
  - ألم الشاعر وحنينه للوطن
  - برّأ الشاعر حزنه وألمه على وطنه.
- **الصورة الشعرية:** تحتوي هذه القصيدة على صور بلاغية نذكر منها التشبيه الذي يتمثل في الجمل الآتية: (كأنّما صَوْبُ العِهَاد دُمُوعَه- كأنّما شَوْكُ القَتَادِ مِهَادُهُ...) في الجملة الأولى نجد الشاعر شبه العهاد وهو المطر الذي ينزل أوّل السنة بدموعه.
  - فالمشبه: العهاد
  - المشبه به: دموعه
  - الأداة: الكاف

أمّا بالنسبة للاستعارة نجدها في الجملة الآتية: "فتضرمت من لوعة أنفاسه"؛ حيث ذكر المشبّه وهو الأنفاس وحذف المشبّه به وهو النّار وترك خاصية من خواصّه ألا وهي تضرّمت، على سبيل الاستعارة المكنية فالنّفس لا تشتعل إنّما النار هي التي تضطرم، وذلك لتقوية وإيضاح المعنى.

- **الطباق:** بالنسبة للطباق فنجده في قول الشاعر: (بياضه، سواده)، (قصرت، أطالت)، (الضحى، الدجى)، (ينكره، يعرفه).
- **الإيقاع الخارجي:** في البنية الإيقاعية فقد بنى الشاعر قصيدته من (البحر الكامل)

تقطيع البيت:

مَا حَالُ مَنْ جُثْمَانُهُ وفُؤَادُهُ قَد عَاثَ فِيهِ نُحُولُه وجُوَادُهُ

مَا حَالُ مَنْ جُثْمَانُهُو وَفُؤَادُهُو قَدْ عَاثَ فِيهِ نُحُولُهُووَجُوَادُهُو

0//0/// 0//0/// 0//0/0/ 0//0/0/

مُتَفَاعِلُنْ /مُتَفَاعِلُن مُتَفَاعِلُن /مُتَفَاعِلُن

- **القافية والروي:** بنيت القصيدة على قافية موحدة (0//0/) وروي موحد (الهاء)
- **الإيقاع الداخلي:** بالنسبة للإيقاع الداخلي في هذه القصيدة يظهر لنا أنّ الشاعر كرّر حرف "الهاء" وهو حرف مهموس دال على صفات الضّعف، لذا نلحظ أنّ الشاعر أكثر منه لتبيين قلّة حيلته وألمه وشوقه لوطنه الذي طال غيابه عنه.

كما وظّف الشاعر الكلمات الصرفية نجد منها: (جواده- سهاده- إسعاده- سواده- حساده- مراده) فجاءت لتعطي جرسا إيقاعيا متناغما في القصيدة، وتوحي على الحالة المأساوية التي عاشها ابن الأبّار.

- **الأسلوب:** كان أسلوبه وصفي في هذه القصيدة حيث اختار الألفاظ المناسبة لبناء نصه، فوظّف ما يدل على حاله بعد ما هجروه من وطنه الحبيب وشوقه وحنينه له وذلك باختيار ألفاظ سهلة تعبر عن وضعه بدقة.

الخلاصة:

لقد حضيَ حب الوطن بمكانة كبيرة في روح ابن الأبّار تجلّت في شعره، فنظم بأغراض عدّة تمثلت في الرثاء والوصف والاستنجاد الذي ازدهر ازدهارا لا مثيل له، نظرا للظّروف القاسية التي شهدتها بلنسية.

كما تناول غرض الشوق والحنين الذي جاء بصورة صادقة ومتأسية عما في داخله، وذلك راجع لتغربه عن وطنه انعكست كل هذه المؤثرات في شعره فميّزته بدقة الألفاظ وسحر الأسلوب.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي أسفرت عنها دراستنا لصورة مدينة بلنسية في الشعر الأندلسي، منذ عصر الفتح إلى غاية سقوطها على يد النصارى وفقا لما يلي:

- لعبت بلنسية دورا بارزا في الحياة السياسية في الأندلس، فقد كانت مرحلتها الأولى؛ أي في عصر الفتح والولاة غير واضحة المعالم وذلك راجع لكونها مجرد كورة تابعة للحكم المركزي في الأندلس، إلى أن دخل عبد الرحمان الداخل وأسس دولة بني أمية في الأندلس فانفرد في عهده عبد الله البلنسي وهو ابنه بإدارة شؤونها لتتحول إلى مركز من مراكز التمرد والعصيان، للضفر بالحكم واخذ منصب الخليفة في قرطبة.
- كانت نهاية وانفراط عقد الخلافة الأموية بداية لمرحلة جديدة في تاريخ بلنسية أين ازدهرت سياسيا وحضاريا، وصارت لها أهميتها الاستراتيجية في المشرق، تضاهي أهمية مدينتي قرطبة وإشبيلية، وذلك بسبب ما نعمت به من سلم واستقرار في عهد الفتيان الصقليان مبارك ومظفر.
- ركّز البحث على عصر الموحدين، باعتباره أكثر العصور التي حظيت فيها بلنسية بمكانة مرموقة، مقارنة بالعصور السابقة والمدن الأندلسية.
- ازدهرت الحياة الثقافية في القرن السابع للهجرة وذلك راجع لعدة عوامل منها: حرص الخلفاء الموحدين على رعاية المثقفين في كل مجالات المعرفة، وتوفير كل الأجواء الملائمة للعلم، أيضا من بين أبرز العوامل انتشار ظاهرة الوراقة والوارقين أين شاع نسخ الكتب وازدهرت العلوم، دون أن ننسى دور تجارة الكتب التي خصص لها أسواق لبيعها واقتنائها، كما لعبت الرحلات المتبادلة بين المشرق والمغرب الدور البالغ في إثراء ثقافة الطلبة بأنواع العلوم، إضافة إلى مجيء علماء المشرق والمغرب العربي للأندلس لتبادل المعرفة.

- عرفت الحياة الاجتماعية تطورا متزايدا وبرزت الطبقات بأنواعها خاصة الثرية منها بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية، إضافة إلى تنوع الأجناس كالعرب والبربر الذين استقروا ببلنسية الأمر الذي رفع عدد السكان وتنوع الديانات.
- انتهج ابن الأبّار في ديوانه وقصائده منهجان: منهج اتبع فيه مسار القصيدة العربية القديمة، وآخر تملص فيه منه وحقق النسيب فيه، فجمع بين الغزل، وذكر صفات الممدوح ذكرا صريحا والتشهير به.
- لابن الأبّار قصائد كثيرة في رثاء بلنسية(ندب بلنسية) ومدحها ، كما نجد عنده شعر الاستنجاد، ووصف الأندلس، ومدح ابن أبي زكرياء ودعوته لاستنقاذ بلنسية من أيدي الطغاة النصارى.
- ازدهر شعر الاستنجاد ازدهارا لا مثيل له في العصر الموحدي نظرا للظروف القاسية التي شهدتها بلنسية والأندلس قاطبة، و لما عرفت به من ثورات سياسية، وتميز هذا الغرض بدقة الألفاظ وسحر الأسلوب وهذا راجع للشاعر نفسه حيث عبّر بصورة صادقة ومتأسية عما في داخله وانعكس ذلك على شعره.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).

أ. المصادر:

1. ابن الأبّار، (أبو عبد الله القضاعي، ت 658هـ/ 1260م): ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي، 2019م.

2. ـــــــ: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان- بيروت، د. ط، 1995م، ج1.

3. ـــــــ: الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة- النيل، ط2، 1985م، ج1.

4. ـــــــ: درر السمط في خبر السبط، تحقيق: عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، لبنان- بيروت، ط1، 1987م.

5. ـــــــ: ديوان ابن الأبار، تعليق: عبد السلام الهراس، البلد التونسية للنشر، تونس، ط2، 1986م.

6. ـــــــ: المقتضب من تحفة القادم، تحقيق: ابراهيم الابياري، (دار الكتاب المصري _دار الكتاب اللبناني)، القاهرة- بيروت، ط3، 1988م.

7. ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود): (ت. 578هـ/ 1183م)، كتاب الصلة لابن بشكوال ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن ابراهيم الغرناطي، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافية الدينية ، مصر- القاهرة، د. ط، 2008، م1.

8. الحموي (شهاب الدين): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ط، 1977م، م1.

9. الحميري (عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، دار الجبل، لبنان– بيروت، ط2، 1988.

10. الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي بن العماد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، الأزهر، د. ط، 1351، ج5.

11. ابن الخطيب (لسان الدين السلماني): تاريخ اسبانية الإسلامية (كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان–بيروت، ط2، 1956م.

12. ابن خفافة: شعر ابن خفاجة، تحقيق: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، د.ط، 1951م.

13. ابن خلدون (عبد الرحمان ابن خلدون): تاريخ ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان– بيروت، د. ط، 2000م، ج4.

14. الذهبي (شمس الدين ابي عبد لله محمد بن أحمد بن عثمان): معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق طيار آلتي قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، اسطنبول، د. ط، 1995م، م1.

15. ابن ابي زرع (الفاسي): الأنيس المطرب بروض القرطاس (في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس)، صور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972م.

16. ابن الزقاق: ديوان ابن الزقاق، تحقيق: عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، لبنان– بيروت، د. ط، 1964م.

17. ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسي): المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت، ج2.

18. المراكشي (ابن عذارى): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان– بيروت، ط2، 1980م، ج2.

19. ـــــــــ: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان– بيروت، ط3، 1983م، ج3.

20. المراكشي (ابن عبد الملك الأنصاري): السفر الأول الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، تعليق: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، م1.

21. ـــــــــ: السفر الخامس الذيل والتكلمة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، بيروت، د. ط، 1965م، ق1.

22. المراكشي (عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تصحيح: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي العربي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر– القاهرة، ط1، 1949م.

23. الغبريني (أبو العباس): عنوان الدراية، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، ابريل 1979م.

24. أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر): تقويم البلدان، كوكين، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

25. القرطاجني حازم (أبي الحزم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الجيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان– بيروت، د. ط، 1981م.

26. ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م.

27. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، ط2، 1999م، ج1.

28. المقري التلمساني (أحمد بن محمد): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1968م، ج1.

29. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، د. ت.

ب. المراجع:

1. أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، المركز القومي، القاهرة، د. ط، 2011م، ج2.

2. بالنثيا (أنخل جنثالث): تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، د. ت.

3. البشري (سعد بن عبد لله): الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الاندلس، مركز الملك فيصل، الرياض، ط 1، 1993.

4. حتاملة (محمد عبده): موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، الأردن–عمان، ط1، 1999م، ج1.

5. حسن (علي حسن): الحضارة الإسلامية المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

6. الدغلي (محمد سعيد): الحياة الاجتماعية في الأندلس (وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي)، دار السامة ، ط1، 1984م.

7. ربيرا (خوليان): التربية الإسلامية في الأندلس(أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية)، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م.

8. سالم (عبد العزيز): تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، دار المعارف، لبنان، د. ط،دت.

9. ـــــــــ: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، 1985م.

10. الشطشاط (علي حسين): تاريخ الإسلام في الأندلس (منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة)، دار قباء، القاهرة، د. ط، 2001م.

11. طقوش (محمد سهيل): تاريخ المسلمين في الأندلس،دار النفائس، لبنان، بيروت، ط3، 2010م.

12. بن عبود (امحمد): التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، د. ط، 1983م.

13. عثمان (محمد عبد الستار): المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1990.

14. عنان (محمد عبد الله): دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح إلى بداية عهد الناصر)، مكتبة الخانجي، مصر– القاهرة، ط4، 1997م، ق1.

15. ـــــــــ: دولة الإسلام في الأندلس لعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، مصر– القاهرة، ط2، 1990م، ق1/ ق2

16. عيسى (فوزي): الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2007م.

17. قناوي (عبد العزيز): الوصف في الشعر العربي، مكتبة العرب، مصر، ط1، 1949م، ج1.

18. كوكة (فاتن): التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين (484هـ_ 670هـ)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د. ط، 2012م.

19. أبو مصطفى (كمال السيد): تاريخ مدينة بنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، د. ط، د.ت.

20. مؤنس (حسين): رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الدار السعودية، جدة– الدّمام، ط2، 1985م.

21. ـــــــــ: موسوعة تاريخ الأندلس (فكر وتاريخ وحضارة وتراث)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1996م، ج1.

ج. الدوريات:

1. مجلة الأثر، العدد 17، 2013م.

2. مؤتمر فيلاديلفيا الدولي الرابع عشر، كلية الآداب والفنون، د. ت.

د. الرسائل والأطروحات:

1. بن حاج ميلود: أصول التربية والتعليم في الأندلس من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف (138- 479هـ/ 756- 1086م)، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة ابن خلدون، تيارت، د. ت.

2. حميد طريفة: ابن الابار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الحاج الخضر، باتنة، 2009- 2010م.

3. خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006- 2007م.

4. سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316- 422هـ/ 928- 1030م)، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1997م.

5. فدوى عبد الرحيم قاسم: الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة النجاح الوطنية، 2002م.

6. محمد عبد المنعم محمد قباجة: الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني (232- 334هـ)، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الخليل، فلسطين، 2008م.

7. محمد مد الله الهروط: الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية في عام الموحدين (541- 636هـ/ 1147- 1238م)، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة مؤتة، 2006م.

هـ. المواقع الالكترونية:

1. www.chiaonlindr.com

2. www.ISLAMSTRORY.com
3. www.msfonline.com
4. www.alramedia.com
5. www.almaany.com
6. www.wiki.dorar_aniraq.com
7. www.sasapost.com
8. www.journals:ekbeg.com

الملحق

المـــــــلحق: حياة وآثار ابن الابار القضاعي

1. حياته

أ. نسبه:

ابن الابار البلنسي هو "ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر بن عبد الرحمان بن أحمد بن ابي بكر القضاعي البلنسي، اشتهر بلقب ابن الابار، وهو لقب اصيل كان اجداده يحملونه ويعرفون به"[1]، لكن من خصومه من قال ان هذا اللقب اطلق عليه "لبذاءة لسانه ورثائه هيئته"[2].

وتحدث المحقق الابياري في (المقتضب) عن نسب ابن الابار حيث قال: "هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن احمد بن ابي بكر القضاعي"[3].

ب. مولده:

ولد ابن الابار في "مدينة بلنسية (***Valencia***) التي انجبت كثيرا من العلماء والشعراء والشخصيات، وذلك في فجر يوم الجمعة في أحد شهري الربيع سنة 595هـ/ دجنبر أو يناير سنة 1198هـ[4].

---

[1]. ابن الابار، ديوان ابن الابار، ص9.

[2]. المصدر نفسه، ص9.

[3]. ابن الابار، المقتضب من تحفة القادم، ص14.

[4]. ابن الابار، ديوان ابن الابار، ص9.

وكان هذا الرأي لمعظم الدراسين لكن هناك من خالف هذا منهم الغريني في كتاب عنوان الدرالية فقال بأن مولده في "577هـ"[1].

وتكلم المحقق سين مؤنس بهذا الصدد فقال أنه كان في "منتصف ذي القعدة سنة597هـ ابن سنتين، اي انه ولد في ذي القعدة سنة 595هـ"[2].

ج. نشأته وتعليمه:

نشأ في مدينة بلنسية وسط بيئة تمتاز بجمال الطبيعة وبين عائلته المتواضعة وقد عرف ابن الابار "بالجد والمثابرة والبحث والاستقصاء،ولم يقتصر في الاخذ عن شيوخ بلنسية وشرقي الاندلس، بل نراه يقوم برحلة علمية عبر بعض المدن الاندلسية للدراسة والأخذ وذلك اثناء حياة والده"[3].

د. شيوخه:

لقد أخذ ابن الابار العلم من خيرة شيوخ الاندلس وحتى خارجها منهم "ابو عبد الله بن نوح، أبو جعفر الحصار، وابو الخطاب بن واجب، وابو الحسن بن خيرة"[4]، هذه الخيرة من العلماء هو ما أكسبه ثقافة واسعة وزخما علميا كبير أثر في غزارة التأليف عنده بمختلف مجالات العلم والمعرفة "والناظر في شيوخ ابن الابار والعلوم التي اخذها عنهم والفنون التي صنف فيها يدرك الشأن الذي بلغه العلم في المغرب الاسلامي، مما يدعو الى القول بأنه كان في منزلة رجال الكمال في عصره"[5].

---

[1]. ابو العباس الغبريني، عنوان الدراية، ص309.

[2]. ابن الابار، الحلة السيراء، ص15.

[3]. ابن الابار، ديوان ابن الابار، ص9.

[4]. ابن الابار، الحلة السيراء، ص17.

[5]. ابن عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي، درر السمط في خبر السبط، ص20.

مع العلم بأنه لم تكن بيلنسبة ولا الاندلس عموما في عهد ابن الابار مؤسسات خاصة بالعلم فقد كان التعليم مركز في المساجد.

ه. وفاته:

لقد تكلم الكثير من الدارسين حول وفاة ابن الابار فنجد الغبريني يقول "توفي رحمه الله بتونس ضحوة يوم الثلاثاء، الموفي عشرين لمحرم عام ثمانية وخمسين وستمائة"[1].

وسار في الاتجاه ذاته ابز قنفد مع ذكره للتاريخ نفسه بقوله"وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة توفي شهيدًا بتونس الفقيد المحصل الكاتب المحدث الكامل ابو عبد الله محمد بن الابار البلسني"[2].

أما المحقق حسين مؤنس قال بأنه "انتهي به الام إلى مصرع فاجع على يد من خدمه وملأ الصفحات بمديحه فلو اننا بحثنا عن مثال لرجل لم ترحمه أيامه ولا رحمته نفسه لما كان هذا المثال خيرًا ابن الابار"[3].

[1]. ابو العباس الغبريني، عنوان الدراية، ص 309.

[2]. ابن قنفذ، الوفيات، ص324.

[3]. ابن الابار، الحلة السيراء، ص7.

2. آثاره الادبية والعلمية:

أ. تلامذته:

تمدرس على يد ابن الابار العديد من التلاميذ الذين اخذوا منه الفقه والعلوم، فقد اشتهر الكثير من تلامذته الذين كان لهم شرف الانتساب إليه فنذكر منهم:

"أبو بكر بن سيد الناس (محمد بن احمد بن عبد الله اليعمري الاشبيلي،ولد في صدر محرم (597هـ) وتوفي في 23جمادى الآخرة سنة (695هـ)"[1].

ومنهم ايضا:" ابو الحسن عيسى بن لب بن ديسم (615_686هـ):وكان من انجب تلامذته كما شاركه في الأخذ عن بعض علماء بلتسية والاندلس عموما أمثال:

اي الربيع سليمان بن سالم الكلاعي، وكان متزوجا من احدى بنات ابن الابار[2].

ب. مؤلفاته:

اشتهر ابن الابار بغزارة التأليف وجودة التصنيف "ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في السلام إلا وله رواية، أما بعموم أو بخصوص"[3].ولم يتسن العثور على كتبه حتى تاريخ تحقيق ديوان شعره ونذكر منها ما يلي:

1) المورد السلسل في حديث الرحمة.
2) المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح.

[1]. ابو العباس الغيريني، عنوان الدراية، ص311.

[2]. ابن الابار، ديوان ابن الابار، ص16.

[3]. المصدر نفسه، ص17.

3) الاربعون حديث في الاربعين شيخا من اربعين مصنفا لأربعين عالما من اربعين طريق الى اربعين تابعا، عن اربعين صاحب بأربعين اسما من اربعين قبيلا في اربعين بابا .
4) الاستدراك على ابي محمد القرطبي بما انقله من طرف روايات الموطأ.
5) الشفائي تمييز الثقات من الضعفا
6) هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف[1].

ج. ديوانه:

لم يشتهر ابن الابار بالفن والتاريخ والكتابة والحديث فقط بل كان شاعرًا مجيدًا ونستند في هذا الى ديوانه الذي يزخر بالعديد من اشعاره ومع ذلك فقد ذكر عبد السلام الهراس انه "لم ينشر اي باحث من المحدثين ممن اهتموا بابن الابار وكتبوا عنه الى أن له ديوان شعر"[2].

وقد بقى وجود ديوان ابن الابار من عدمه معلق الى أن " حظيت الخزانة الملكية بالتنظيم واكتشف القائمون عليها وفي مقدمتهم الاخ الاستاذ المحقق محمد المؤني كنوزا نادرة من تراثنا المغربي الاندلسي والعربي، ومن اهم ما اكتشفت (ديوان ابن الابار) والمخطوط مسجل تحت رقم 4602"[3]

ولقد وصف عبد السلام هراس ديوان ابن الابار وهي النسخة الوحيدة منه التي تم العثور عليها بقوله: "وهو سفر متوسط الحجم يحتوي على 222 صحفحة (.....) اصيب ببتر في الصفحات الاولي، وهو مرتب على الحروف الهجائية حسب الترتيب المغربي

[1]. ينظر: ابن الابار، المصدر السابق، ص 18.

[2]. المصدر نفسه، ص 21.

[3]. المصدر نفسه، ص22، 25.

والاندلسي، وخط هذا الديوان أندلسي حسن، به كثير من التصحيف والتحريف زيادة على الخروم والتآكل، والديوان خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ[1]".

[1]. ينظر: ابن الابار، المصدر السابق، ص22

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

المحتـــــــــــــــوى	الصفحة
شكر وعرفان	/
مقدمة	أ
الفصل الأول: بلنسية مدينة للعلم والحضارة	
تمهيد	**05**
المبحث الأوّل: مدينة بلنسية عبر التاريخ	**06**
المطلب الأوّل: الموقع الجغرافي لمدينة بلنسية	**06**
المطلب الثاني: الحياة السياسية لبلنسية	**09**
1. فتح بلنسية	**09**
2. بلنسية في عصر الولاة	**10**
3. بلنسية في ظل الإمارة الأموية بالأندلس	**11**
4. بلنسية في عصر الخلافة	**15**
5. بلنسية في عصر دويلات الطوائف	**18**
6. بلنسية في عهد الموحدين	**21**
المبحث الثاني: العلم والثقافة في بلنسية عبر العصور	**26**
المطلب الأوّل: العوامل المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية في بلنسية	**26**
أولا: بداية من عصر الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الولاة (94هـــ_ 138هـــ).	**26**
ثانيا: من عصر الإمارة إلى نهاية ملوك الطوائف (138هـــ _ 497هـــ).	**27**
1. الاتصال العلمي بين بلنسية والمدن الإسلامية	**27**
2. المكتبات وجمع الكتب	**29**
ثالثا: في عصر الموحدين (479هـــ_ 636هـــ).	**33**
1. اهتمام المجتمع البلنسي بالعلم	**34**

2. الاتصال الوثيق بين الطالب والمعلم	**35**
3. الأساس العلمي للدولة الموحدية وتشجيع الخلفاء الموحدين للعلماء	**35**
4. نشوء بعض العلماء في جو علمي مثقف	**36**
5. بروز عدد من العلماء الراسخين في العلم مما جعلهم محط أنظار الطلبة	**37**
المطلب الثاني: التعليم والمؤسسات التعليمية المؤثرة في بلنسية	**37**
أولا: بداية من عصر الفتح الإسلامي إلى نهاية ملوك الطوائف (94هـ_ 479هـ).	**37**
1. نظام التعليم في بلنسية	**37**
2. أماكن التعليم	**40**
3. المرأة والتعليم	**41**
4. اهتمام الخلفاء بالحركة العلمية	**41**
ثانيا: عصر الموحدين (479هـ- 636هـ).	**42**
1. مرحلة التعليم	**42**
2. مراكز التعليم	**45**
المبحث الثالث: المظاهر الحضارية في بلنسية	**47**
المطلب الأول: المراكز العمرانية في بلنسية.	**47**
1. الأحياء والأرباض	**49**
2. بلنسية وبعض قراها	**51**
3. المراكز الاجتماعية	**52**
4. المراكز الدينية	**55**
5. المقابر	**57**
6. المنيات والمتنزهات	**58**
7. ولجة بلنسية	**60**
المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في بلنسية عبر العصور	**60**
1. عناصر السكان	**61**

2. طبقات المجتمع البلنسي	**64**
3. أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في بلنسية	**68**
الخلاصة	**72**
الفصل الثاني: صورة مدينة بلنسية في شعر ابن الأبّار	
تمهيد	**74**
المبحث الأول: الاستنجاد والرثاء في شعر ابن الأبّار	**75**
المطلب الأوّل: شعر الاستنجاد والاستعطاف	**75**
1. مناسبة قصيدتي الاستنجاد	**75**
2. قصيدتي الاستنجاد	**77**
المطلب الثاني: الرثاء	**92**
1. مناسبة قصيدتي الرثاء	**92**
2. قصيدتي الرثاء	**93**
المبحث الثاني: الوصف والشوق في شعر ابن الأبّار	**100**
المطلب الأول: الوصف	**100**
1. مناسبة قصيدتي الوصف	**100**
2. قصيدتي الوصف	**100**
المطلب الثاني: الشوق.	**107**
1. مناسبة قصيدة الشوق	**107**
2. قصيدة الشوق	**108**
الخلاصة	**112**
الخاتمة	**114**
قائمة المصادر والمراجع	**117**
الملحق	**126**
فهرس المحتويات	**133**
الملخص	**/**

الملخص:

إنَّ مدينة بلنسية من أهم المدن الأندلسية باعتبارها قاعدة من قواعدها، فليست أقل شأن من إشبيلية وقرطبة قاعدتي الأندلس، وبهذا كان عنوان بحثنا موسوما بـــ"صورة مدينة بلنسية في ديوان ابن الابار، والذي يهدف لإجلاء معالم الصورة التي رسمها لهذه المدينة الإسلامية ، ومنه يتبادر في ذهننا الاشكال التالي:

وهو كيف صور الشاعر مدينة بلنسية في شعره؟.

وقد أجريت هذه الدراسة لوصف النكبات التي حافت المدينة باستهداف المعالم الإسلامية وتصوير حياة الإنسان البلسني، ولذلك بنيت مقسمة إلى فصلين خُصّص في الفصل الاول دراسة الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والعمرانية، أما الفصل الثاني فتم فيه دراسة معالم صورة المدينة المحتلة من حيث الاستنجاد والشوق والرثاء والوصف.

وطبقا لنتائج هذه الدراسة فإنّها تشير الى أنّ الفترة الإسلامية هي من أرقى وأفضل العصور التي مرّت على بلنسيه رغم ما عانته من حروب داميه وفتن ونزاعات.

Summary:

The city of Valencia is one of the most important Andalusian cities, as it is one of its bases. It is not inferior to Seville and Cordoba, the two bases of Andalusia. This research entitled "Image of Valencian City in Ibn al-Abar's Diwan," which aims to clarify the features of the picture drawn by Ibn al-Abar for this represented Islamic city, and from it exchanges We have the following shapes in mind:

How did the poet depict the city of Valencia in his poetry?

This study was conducted to describe the catastrophes that surrounded the city by targeting Islamic dictionaries and depicting the life of the Balsin man, and therefore it was built divided into two chapters devoted in the first chapter to the study of political, cultural, social and urban life.

According to the results of this study, they indicate that the Islamic period is one of the most peaceful and best eras that have passed since Belsenia, despite what it suffered from bloody wars, seditions and conflicts.